المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الخمسين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩١٧ — الموافق ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٣٥

الدكتور شبلي شميل

ترجمته

لا اصعب على المرء من قضاء واجب مؤلم . وايُّ واجب اشد ايلاماً من ان يكون ذاك صديق عشرتهُ وصادقتهُ من الصبا الى الشيخوخة وكنت تكلمهُ اليوم وفي الغد تدعى لتأبينهِ وترجمتهِ . وهذا شأن كاتب هذه السطور مع فقيد العلم والفضل الدكتور شميل مع مَنْ فقدناه فقد الغيث والعام ماحل . والعارفون ادواءنا الاجتماعية قليل عددهم والمجاهرون بما تحتاج اليهِ من العلاج اقل واندر . والعلماء الى النفية منهم الى الجهر اميل . ولكن ما الحيلة ولا مردَّ للقضاء

واذا المنية انشبت لم يشنها حرص الحريص وحيلة المحتال

من اتم نظرهُ في تاريخ العلوم والفنون في بلاد الشام رأى ان شمسها كانت تشرق مرة وتغرب اخرى في ازمنة متطاولة فقد كانت مدينة بيروت مقرَّ مدرسة الحقوق الكبرى في مملكة الروم كلها من القرن الثالث المسيحي الى القرن السادس لا تضارعها مدرسة رومية ولا مدرسة القسطنطينية . ولم تنتقل من بيروت الاَّ عند خرابها الزلازل سنة ٥٥١ لكنها لم تغادر بلاد الشام بل نقلت الى مدينة صيدا . وبثَّ اعوام كثيرة على الفتح الاسلامي — ق صارت دمشق دار الخلافة ومقر العلم والعلماء . وعلماؤها وعلماء سائر البلاد الشامية أكثر من ان يحصوا حتى في العلوم الطبيعيَّة نخص منهم بالذكر ابن ابي صادق الملقب بقرناط الثاني

ثم انتابت نوائب الدهر تلك البلاد كلها على اثر الحروب الصليبيَّة واجتياح المغول لما واطفأت منها نبراس العلوم او كادت . ودامت الحال كذلك الى اواسط القرن الماضي حينما جاءتها الرسالات الدينية من اوربا واميركا وانشأت فيها المدارس والمطابع . لكن همَّة منذو

الرسالات كانت مصروفة الى التعاليم الدينيَّة واللغوية والادبيَّة فلم يتَّجِ لاحد من ابناء سورية التوسُّع في العلوم الطبيعيَّة الاَّ اذا طلبها في روسية او جاء مدرسة الطب المصرية او مدرسة الاستانة

ولما حدثت الحروب الاهلية في بلاد الشام سنة ١٨٦٠ ولجأ اكثر المنكوبين الى مدينة بيروت اهتمَّ كرماء الاوربيين والاميركيين باغاثتهم فكثرت المدارس في مدينة بيروت وضواحيها وأُنشئت فيها جمعيَّة علمية ورأى المرسلون الاميركيون ان قد حان الزمان لانشاء مدرسة كلية لتعليم العلوم العالية والفنون الطبيَّة فاوفدوا احد خطبائهم وهو الدكتور دالبالي بلس الى اميركا لهذه الغاية فجمع الاموال من كرمائها وفتحت المدرسة الكلية ابوابها لطلبة العلم سنة ١٨٦٦ وكانت في بناء صغير متصل بالمدرسة الوطنية التي انشأها قبل ذلك الطبيب الذكر الخالد الاثر المعلم بطرس البستاني وكان كاتب هذه السطور من التلامذة الذين اموها في عامها الاول فشرعنا للحال في درس العلوم العالية من رياضية وطبيعيَّة مع العلوم اللغوية والادبية . وفي خريف العام التالي انشئ فيها فرع لتعليم العلوم الطبية جاءهُ جماعة من الطلبة بعضهم من التلامذة الذين كانوا يتلقون الدروس في المدرسة الكلية في عامها الاول والبعض الآخر من تلامذة المدارس الاخرى وبين هؤلاء شاب في نحو السابعة عشرة قصير القامة اسمر اللون سريع الخاطر تلوح عليهِ مخايل النجابة والذكاء مرتد بالثياب الافرنجية وكان لبسها نادراً بين الوطنيين في ذلك العهد وهو صاحب الترجمة . لكن اكثر هؤلاء التلامذة الذين جاؤوا من المدارس الاخرى كانوا خارجيين يحضرون الدروس ويمضون الى بيوتهم فلم نرَ ذلك الشاب تلك السنة الاَّ قليلاً

وفي السنة التالية انتقلت المدرسة الكلية الى بناء آخر استؤجر لها فيه دار فسيحة جُعلت للدرس العمومي وتحضير الدروس وكان لكل اثنين من الطلبة مكتب واحد مزدوج فكان نصيب صاحب الترجمة وفيليب دعَّاً متجاورين صفتين صوالتين تذاكر فيها كان من درسنا مشتركاً كعلم النبات والكيمياء والفسيولوجيا وفيها نميل اليهِ بالطبع كالشعر والانشاء . ومن غريب الاتفاق اننا ولدنا في قريتين متجاورتين وكان من قريتهِ الشيخ ناصيف اليازجي استاذنا واماه العربية ووسطة عقد الشعراء في بلاد الشام في ذلك العهد ومن قريتنا احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب وهو من اكبر ائمة اللغة والشعر والانشاء . وكانَ كلاً منا كان يودُّ ان يحتذي ابن بلدهِ فكنا نتنافس في اقتفاء اثريهما

والدكتور شميل من بيت علم وفضل فان اخاهُ الاكبر المرحوم مخيم شميل كان استاذاً

في مدرسة الروم الكبرى في سوق الغرب لدى اول انشائها وكان لهُ اتصال بالمرسلين الاميركيين في عهد المرحوم عالي سمث وقد وقفنا لهُ على مباحث جليلة فلسفية وطبيعية . واخاهُ المرحوم امين شميل صاحب كتاب المبتكر الادبي الفلسفي ومجلة الحقوق القضائية كان من العلماء المتجرين . وابوهم من فضلاء لبنان ووجهائهِ ومن ادباء عصرهِ . فشاب يولد من والد مثل هذا الوالد يحيط بهِ مثل هذين الاخوين لا غرو ان ينشأ بعقل علمي فلسفي جامع بين ادب النفس والانصراف الى العلوم الادبية والطبيعية

واتممنا دروسنا العلمية في صيف سنة ١٨٧٠ وخرجنا من المدرسة واتمَّ هو دروسهُ الطبية في صيف سنة ١٨٧١ وخرج منها . ثم عدنا نحن الى التدريس في المدرسة الكلية سنة ١٨٧٣ وانشأنا (كاتب هذه السطور وشريكهُ الدكتور فارس نمر) المقتطف بعد ذلك واتفق اننا نشرنا في مقتطف اغسطس سنة ١٨٧٨ تبذة صغيرة اشرنا فيها الى تجارب الاستاذ تندل التي جاءت نتيجتها نافية للتولُّد الذاتي الذي كان يقول بهِ جمهور من العلماء اي لتولُّد الاحياء في مادة ليس فيها بزورها . وكان الدكتور شميل قد انتقل الى القطر المصري ورحل الى اوربا واطَّلع على المباحث البيولوجية عند اربابها واقتنع بما وقف عليهِ من الادلة لصحة مذهب النشوء وتولُّد الانواع بعضها من بعض والتولد الذاتي ايضاً فكتب الينا معترضاً ودارت المناقشة بيننا وبينهُ

وكان العلماء الباحثون في هذا الموضوع فريقين فريقاً يقول ان الحي لا يتولد الاَّ من حي مثلهِ وفريقاً يقول بالتولُّد الذاتي بناءً على ان الحياة حالة من حالات القوى المادية كالحرارة والكهربائية فتظهر متى توفرت لها الاحوال اللازمة لظهورها . ويؤيدون قولهم بظهور المكروبات في بعض السوائل بعد ان تُسخَّن الى درجة عالية من الحرارة تميت بزورها منها ان كانت موجودة فيها . ولم يزالوا فريقين حتى الآن وقد مات الدكتور باستيان في العام الماضي وهو يؤكد انهُ رأى اجساماً حيَّة تولدت من مواد غير حية وصوَّر هذه الاجسام وقلنا صورها عنهُ في المقتطف منذ سنة من الزمان . وجمهور العلماء لا يقول الآن باستحالة ذلك بل يقول ان التجارب التي جرَّبها الدكتور باستيان لا تدلُّ دلالة قاطعة على ان جراثيم تلك الاحياء لم تكن موجودة حيَّة في السوائل التي ظهرت الاحياء فيها . ولقد كنا مصيبين في متابعتنا الاستاذ تندل ووثوقنا بصحة تجاربهِ وصحة النتيجة التي استنتجها منها . وكان الدكتور شميل مصيباً ايضاً في متابعتهِ القائلين بعدم استحالة التولُّد الذاتي بناءً على ان الحياة من القوى المودعة في المادة ولو كانت الاحوال الحاضرة لا تساعد على ظهورها في المادة مباشرة

واساس الفرق بيننا وبينهُ في الامور العلمية والاجتماعية اننا نحن نميل الى الحذر ونرى ان يُذكر كل امر بما يستحقهُ من الاحتمال او الترجيح او التحقيق اثباتاً كان او نفياً مدفوعين الى ذلك بما اثرتهُ فينا العلوم الرياضية التي تعلَّمناها وعلَّمناها، ولما يستطيع هذا التدقيق من لم يبحث في الموضوع من كل وجوههِ ويعرف كل ملابساتهِ واوجه القوة والضعف فيهِ. واما الدكتور شميل فلم يدرس العلوم الرياضية وكان حاد الذهن سريع التصوُّر فيبادر الى المجاهرة بما يعتقدهُ صواباً ولو خالف المألوف ولم تقم ادلة قاطعة على تأييدهِ. وقد صرَّح بذلك منذ عهد غير بعيد في مقالة نشرها في جريدة المؤيد حيث قال « اما انا فأقفي اذا كان ذلك يُعدُّ آفة انهُ متى بدت لي حقيقة تستهويني حتى لا اعود احفظ نفسي عن ابدائها »

الاَّ ان هذه الحماسة لا يقدم عليها المرء في عملهِ الخاص الذي يبحثهُ من كل وجوههِ ويعرف كل دخائلهِ وتشعُّب الآراء فيهِ بل مَن يلمُّ بالموضوع الماماً او يكون من العاملين فيهِ فلم يكن الدكتور شميل كذلك في علم الطب بل كان يجري في معالجة مرضاهُ ووصف الادوية لهم حسب القواعد المقررة ولا يأخذ بالمحتملات ولا تستهويهِ المكتشفات الجديدة فلم يبادر مثلاً الى استعمال المعالجة بماء البحر ولا بالسلفرسان ولا بالانزيم اوزون. وهذا شأن كل متعمق في علم من العلوم او موضوع من المواضيع. ألا ترى ان داروين نفسهُ صاحب المذهب الداروني مضت عليهِ سنون كثيرة وهو يبحث ويحقق ويكاتب ويستشير قبل ان جاهر بمذهبهِ لانهُ كان يرى اماكن الضعف فيهِ ولم يبادر الى نشرهِ الاَّ اجابة لالحاح اصدقائهِ الذين رأوا ان وليس كاد يسبقهُ الى نشر مذهب مثلهِ. ولقد كان داروين في تأنيهِ احكم منهُ في نشر مذهبهِ حينئذٍ لان كثيراً من مبادئهِ تُنقض الآن وأُبدل بغيرهِ. ومثل ذلك نرى ان من يسيح اسبوعاً في مدينة لم يعرفها من قبل قد يكتب عنها مجلداً كبيراً يصف فيهِ مشاهدها ومسالكها واخلاق اهلها واما ابن تلك المدينة الذي ولد وربي فيها فيتعذر عليهِ ان يكتب عنها عشر صفحات لان الاول يأخذ بالظواهر والثاني ينظر الى البواطن والدقائق ويجد لديهِ اموراً كثيرة يتعذر عليهِ استقصاؤها وتعليلها

الاَّ ان الدكتور شميل كان نابغة في التعليل المعيَّن في اكتشاف الحقائق ومن ثمَّ كان من مشاهير الاطباء في التشخيص العلمي كأنما يوحى اليهِ وبلغت منهُ الفراسة ان علَّل حوادث كثيرة بالاستنباط الذاتي قبل ان شاع هذا التعليل في اوربا

ولمعيَّتهُ في اكتشاف الحقائق جعلتهُ يختار موضوعاً خطبتهِ الانتهائية في المدرسة الكلية سنة ١٨٧١ « اختلاف الحيوان والانسان بالنظر الى الاقليم والغذاء والتربية »

جاء فيها بكثير مما يؤيد مذهب داروين على غير قصد منهُ . ولقد خسرت المدرسة الكلية خسارة كبيرة لانها لم تنتدبهُ للتدريس فيها . ونرجح انها لو فعلت ذلك لانقطع للبحث العلمي واكتشف في علم الطب او العلوم الطبيعية المتصلة به اكتشافات كبيرة توسع نطاق العلم وترغب الطلبة الشرقيين في اقتفاء خطواته . ولم ينقطع للبحث العلمي في بيته لانهُ لا ينتظر من طبيب ليس لديهِ شيء من وسائل البحث ان يتولى البحث العلمي بنفسهِ . وقد ادرك اهالي اوربا واميركا ذلك فقالوا ما يطلب من اساتذة مدارسهم لكي يتفرغوا للبحث والتنقيب . ولم يكتفوا بذلك بل انشأوا معاهد للبحث العلمي خاصة واستدعوا اليها كبار العلماء والاطباء الذين يميلون الى هذا البحث ليتفرّغ كلٌّ منهم للبحث في الموضوع الذي يميل اليهِ وقطعوا لهم الرواتب الكافية لكي يستغنوا عن التطبيب والتعليم ايضاً

وقد خُص الدكتور شميل بذاكرة ماضية وقوة استحضار فائقة فلم يكن يتعذر ان يقول لك انني كتبت منذ ثلاثين سنة مقالة قلت فيها كذا وكذا ويسرد لك صفحة او اكثر غيباً . او نظمت قصيدة قلت فيها الابيات التالية ويسرد لك عشرين بيتاً او اكثر حتى انهُ كان يحفظ بعض ما كتبناهُ ونحن لا نتذكر حرفاً منهُ

وكان انيس المحضر حسن المحاضرة فكه الحديث فات السبعين واشتد عليهِ الربو ولكنهُ بقي بشوشاً طلق المحيا يعشقهُ خلانهُ واصدقاؤهُ وكلُّ الذين عاشروهُ لما يرونهُ فيهِ من حسن الطوية واخلاص الحب والانصاف والانتصاف ولاسيما لشجاعتهِ الادبية المفرطة فلم يكن يخشى ان يقول للظالم يا ظالم ولو ملكاً . ومع عزتهِ على الظالمين المتغطرسين كان من اودع الناس مع الضعفاء واليائسين

نقرأ كتاباتهِ فنجدهُ ماديًّا من غلاة الماديين وهو في الحقيقة من غلاة الروحيين حتى كاد يعتقد بالسعد والنحس وحاول مرةً ان يجد دافوناً للصدفة . ولبعده عن الماديات وكرههِ المفرط لم يعرف ان يستفيد من علمهِ فائدة مادية فلو جمع الى مهارتهِ في علم الطب شيئاً من المهارة في اكتساب المال عن التطبيب لعاش في سعة وتولى عن ثروة طائلة ولكنهُ كان يحرص على جمع ما يحتاجهُ قليلهُ اضعاف اضعاف ما يحرص على مالهِ حتى لقد حفظ عدداً من جريدة فرنسوية كان يشتريها منذ اكثر من اربعين سنة وعلى ذكر هذه الجريدة نقول انهُ كان من اكتساب معدودين في اللغة الفرنسوية كما كان في العربية . وكان واسع الرواية قوي الحجة ولاسيما اذا كان بين قوم يدركون معانيهُ وكان الموضوع يتطلّب الحماسة فانهُ كان يتدفق كالسيل حتى يدهش منهُ سامعوهُ ولو كانوا من كبار الخطباء

وانتشرت كتاباتهُ في الجرائد والمجلات في كل البلدان التي تقرأ فيها العربية أو الفرنسوية ورأي القراء فيها حكماً رائعة وآراء صائبة فاكبروا شأنهُ . ولو تمكن من زيارة السوريين في مهاجرهم في اميركا الشمالية والجنوبية وجنوب افريقية واستراليا وزيلندا الجديدة واليابان لاحتفلوا بهِ في كل مكان كما كبر فيلسوف نجلهُ البلاد الشرقية

وسيأتي الكلام على علومهِ ومؤلفاتهِ في الجزء التالي

واعتلت صحتهُ منذ بضع سنوات فكانت تصيبهُ نوبات من الربو تكاد تقطع انفاسهُ ولا تلبث ان تزول عنهُ حتى يعود الى نشاطهِ الاول و بشاشتهِ الاولى . وقد صرّح لنا مراراً انهُ سيقضي عليهِ في نوبة مثل هذه فكان كما قال ووافتهُ منيتهُ فجر الاثنين في رأس هذا العام بلا الم ولا تعب . وما شاع نعيهُ في العاصمة حتى وجم الناس من هول المصاب لعظم الخسارة فيهِ واحتفلوا بتشييع جنازتهِ في اليوم التالي احتفالاً مهيباً سار فيهِ جمهور كبير من محبيهِ ومريديهِ من وجهاء العاصمة والاقاليم وكبار رجال الحكومة وصُلي عليهِ في كتدرائية الروم الكاثوليك ثم وقف الشاعر الشهير خليل افندي مطران ورثاهُ بابيات عبّر بها عن احساس كل عارف بفضلهِ قال فيها

لانتَ صلاب المزائم ... وانتبتَ عقد العظائم
قضى حبيب المعالي ... قضى عدوّ المظالم
قضى فتى الحلم والبأس والعلي والمكارم
عصر طواهُ وشيكاً ... هذا القضاء الوامم
وامة من سجايا ... بادت كأحلام حالم
في كل مجمع فضل ... فاتت عليهِ المآتم
ماذا دهى العلم فيهِ ... وكان اعمل عالم
المّ بالطب ريب ... كأنهُ فأس هادم
رمح في كل نفس ... من ساجي غير نادم
برغم كل شجاع ... يا شبل انك راغم
فوجئت حتفاً وهذا ... اولى بعزّ الضياغم
فاليوم تسكن كرهاً ... والدهر حولك قائم
قيام بحر تلاقى ... حبابهُ والغمائم
غريقهُ مطمئن ... ووجههُ متلاطم

ما كان منك بعهدٍ هذا الجمود الدائم
بعد الجهاد تواليه دائباً غير سائم
وبعد غزّ مساعٍ فيحمد غير ذمائم
يا ساكن الرمس ضيقاً وكان وسع المعالم
امل قلبك فيهِ يقظان والجفن نائم
سرّ اسائل عنهُ يوم النوى كل حازم
فما يجير جواباً يزيل حيرة واجم
المستريح وقد كنت ضامناً للغمارم
قد بت اتعب مابات دون حق مخاصم
ورحت ايأس ماراح ذائد للمآثم
في قيد خزّ رقيقٍ وقد تفك الادادم
تركت دنياك ناراً شبّت على يد غاشم
اضحت مجال سنايا بين الجيوش الخضارم
وكنت سلم التآخي فيها وحرب المحاتم
تستنهض العدل والعقل والشعوب الجوائم
على محلّ الخاصي ومستبيح المحارم
تشكو امى انتهاب يزعمن بعض الغنائم
تلوم كل مليمٍ اذ ليس في الخلق لائم
وما برحت وفيّاً لكل خلّ مخالم
وما برحت معيناً اخاك والوقت عارم
ان اقبل الدهر يوماً قاسمت كل مقاسم
لا سقياً لك الاّ ادنى نصيب المساهم
وان منيت بعدمٍ فما مرجّيك عادم
بيت الشفاء مزار يؤمّهُ كل راثم
ما ينثني عنهُ ماضٍ حتى يوافيهِ قادم
للداء فيهِ دواء وللجراح مراهم
لا حسبة الله لكن جود ورحمة راحم

من اريجيّ عظيم ما كان بالمتعاظم
يشفي الجسوم ويلقي عن العقول الشكائم
يبغي هدى كل قوم الى الصلاح الملائم
ولا يضنّ بنصح ثبت ورأي حاسم
كأنما سيف يديه يرق على الطرس راقم
آيات نثر مبين تجلى واليات ناظم
مرام كل حكيم ومنتهى كل حاكم
تغشى الحقائق فيها حينًا مخيلات واهم
لله انت وهمّ مبرّح متقادم
من اجل قولك كم بتّ في ليالٍ جوائم
ما انت بدرج بث من كربك المتفاقم
وما تفي في جهادٍ لهُ الرجاء بملازم
تلك البلاد الغوالي على الحماة السلادم
تزداد لفحًا عليها ما ازداد فيها الجرائم
تأبى لها الضيم ما في يديك والدهر ضائم
لولاهُ والجهلُ أعمى لم يبقَ في الارض ظالم

***

يا من غشى بثناه ملءُ النفوس الكرائم
قد اوطنت في خلودٍ ذكراك بين العوالم
جرت بها فلك نور على الدموع السواجم
الى شآميّ مجد منوّرات بواسم
فم يزن يوم دفنك ترحيل بين المواسم
سقت ثراك غيوث مخضلة بالمراحم

وتلاه كاتب هذه السطور فبيّنهُ ذاكرًا عملهُ وفضلهُ وقال انهُ كان يبحث عن الحقيقة وقد صار الآن حيث يعلم ما هي علم اليقين وان نفسهُ سيبقى ما بقيت اللغتان العربية والفرنسوية اللتان نشرت كتاباتهُ بهما. ثم تقدم رصيفهُ الدكتور امين ابو خاطر فابنهُ بعبارات بليغة كان لها اعظم وقع في النفوس

القدرية والجبرية

او الاختيار والاضطرار

(٢)

ظاهر مما تقدم ان الابحاث التي جرت في هذا الباب هي ابحاث تصورية اكثر منها عملية. فانها لا ترمي الى تعريف حقيقة الارادة ثم بناء فكرة المسؤولية عليها بل الى الاعتراف بفكرة المسؤولية والاحساس بها واقعة ملموسة ولمس اسبابها في انواع من التصور والخيالات أقامها الذهن الانساني ليعتبرها مصدراً لتعليلاته المنطقية. ولا شك أن هذا الطريق هو طريق الحلقة المفرغة لا يدري اين طرفاها. لانك لا تستطيع ان تميز في هذه الابحاث تمييزاً دقيقاً اذا كانت فكرة المسؤولية هي التي انتزعت من وجود الارادة الحرة او ان فكرة الارادة الحرة هي التي خلقت لتقوم دعامة للمسؤولية الموجودة والمحس بها. ولولا تقدم العقل الانساني لبقينا في تيهاء غامضة يغشانا نور لا ندري اين مصدره

والحقيقة عندنا ان الارادة ليست قوة خارجة عن الجسم متعلقة بالروح لان الروح ليست شعاعاً مستقلاً عن الجسم على نحو ما كانوا يقولون. وانما الحياة اثر تفاعل المواد المركب منها الجسم الانساني بعضها مع بعض وتفاعلها مع المواد الاخرى في العالم. وهذا التفاعل هو مصدر كل القوى بما فيها الروح والارادة

وليس معنى ذلك ان الحركات والسكنات التي تصدر عنا ليس لها نظام خاص او اننا نحن لا نسير على ناموس في تصرفاتنا غير ناموس الصدفة البحتة. بل ان كل حركة من حركاتنا ايّاً كان نوعها تصدر عن مركز خاص. لكنها قبل ان تصل الى هذا المركز ثم تصدر عنه تمر باجهزتنا المختلفة وتتوزع بعد ذلك حسب انواعها على المراكز المعدة لتلقيها واصدارها. وتتصرف هذه المراكز في التلقي والاصدار تصرف آلي بحت. فالحركة العنيفة تحدث في المركز المقابل لها اثراً عنيفاً يظهر في الخارج في هذه الصورة. والحركة الضعيفة قد تصل من الضعف بحيث لا يظهر لها في الخارج اثر على الاطلاق

وتأثر الجسم ومراكزه المختلفة لا يختلف في شكله عن اثر التفاعلات الكيماوية في معامل ولا عما نراه في المواد غير الحية التي تقابلنا عرضاً في الحياة. انت تضغط قطعة من الخشب او تجر خيطاً في لعبة فاذا بدا اللعبة او عيناها او اسنانها تتحرك وتضغط زراً امامك فاذا جرس يدق بعيد متأثراً بهزات الكهرباء. وتضع المادة الكاوية على ورق الشموس فتحوله من

الحمرة الى الزرقة . ثم تضع حامضاً عليه بعد ذلك فتنقلب زرقتهُ حمرة من جديد . في هذه الاحوال الثلاث يوجد تيار مختلف يحدث حركة ضعيفة . فالتيار الذي يحرك اللعبة هو تيار مادي صرف هو الخيوط او الاسلاك التي تصل بعض اجزائها بالبعض الآخر . والتيار الذي يحرك الجرس تيار لا يمكنك ان تراهُ ولا ان تسمعهُ ولكنك تحس بهِ اذا لمست الاسلاك التي يسير فيها ويصبح جزءاً منها ما دام مصدرهُ موجوداً . والتيار الذي يحدث الانقلاب الكيماوي باختلاف المادة المضافة الى التموس من قلوية الى حمضية تيار غير محسوس بالكلية . ولكن يظهر لنا اثرهُ كما سمعنا الجرس وكما رأينا تحرك اللعبة ولكننا لا نعرف سببهُ على النحو الذي عرفنا بهِ سبب الاثرين الآخرين

ثم انت ترى عدسة الفنوغرافية تلقي الصور التي امامها في لوح الزجاج (المصنف) اذا وضع على بعد معين منها مستعيناً في احداث هذه الصور بخيوط النور التي تصل ما بين الكائنات ولا نستطيع تعريفها . وتميز دقات التلغراف اللاسلكي في العدد المقابلة منقولة اليها باثير الهواء وتموجات تيارهِ . وتسمع من الفونوغراف اصواتاً مضبوطة تظهر الى الوجود من سير الابرة فوق موجات اسطوانة . وكذلك تنقل هذه التيارات المحسوسة المعروفة او غير المعروفة لنا آثاراً معينة هي نتيجة مرور صور معينة عن طريقها بآلات او اجسام معينة

مثل الانسان في حركاتهِ وحياتهِ مثل هذه الآلات وتلك الاوتار . ولكن نظامهُ مركب دقيق يصل احياناً الى حد التعقيد فيقف الفهم والتصور دون ادراك حقيقة بعض ما فيهِ بل دون الوصول الى خيال يكاد يقنع المنطق الانساني بشابهتهِ لهذه الحقيقة . في تلك اللحظات يرجع الرجل منا الى ذلك الطفل الحصين الذين ظالما احتمى فيهِ اباؤنا الاقدمون قبل ان ينير العلم بشعاعهِ الفشيل بعض اركان عالمنا الناقص الغريب . يلجأ الى الغيب والقوة والقدرة العازب عنا عللها والتي لا ندلو منا لنتعرف شيئاً من ماهيتها

ولكن جهلك الشيء لا يدل على صدورهِ عن مصدر خارج عنهُ وعن اشباههِ ونظائرهِ . بل لكل ما يدل عليهِ انك تجهلهُ في حين ان غيرك ربما يعرفهُ او في حين ان جيلاً آخر ربما يصل لاكتشافهِ والوقوف على حقيقة امرهِ . ولئن بقي هذا الشيء غامضاً ابد الدهر فان القوانين العامة التي تحكم المادة تكفي لتفسيرهِ ولو على طريقة الاخذ بامثالهِ . وقد دل العلم على ان اشياء كثيرة كانت لا تزال بعيدة عن تصور الانسان ولكنهُ كان يدركها بالهام خاص حين كان يردها الى اشباهها ونظائرها ادراكاً لم يكن بعيداً عن الحقيقة كثيراً

اعتقد الفلاح انسان اول ما رأى فطار سكة الحديد او الترام او الاتومبيل يسير

من تلقاء نفسه من غير ان يجرّه ثور او حصان ان قوة غريبة تسيره او ان شيطاناً يسكن في داخله . فلا أفهم على توالي السنين وبمشاهدتي وابورات المياه التي تجاور مزرعتهُ ان النار والماء هما المصدر لكل تلك الحركة بدأ يتصور ان هناك قوى معروفة لدى بني الانسان ممن (شافوا الدنيا) ولا علاقة لها بالشياطين ولا بالملائكة وان هذه القوى هي التي تسير تلك الاجسام الهائلة التي يراها . وعلى ذلك فلما سمع بالطيارات لم يحتج ان يلتجئ الى قوى خارجة عن العالم لانهُ رد حركة الطيارة الى مشابهاتها التي معهُ على الارض

فالحركات التي تصدر عن الانسان وتظهر لنا هي اثر اوجودات الخارجية منعكسة عن الاجهزة المختلفة المعدة لتلقيها . واتصال هذا الاثر بطريق اجهزة وتيارات مادية متصل بمركز الحركة الانساني اما مباشرة او بطرق وتيارات اخرى تجعل هذا المركز يحدث هذه الحركة على نحو ما احدث ضغطك الخشبة في اللعبة من تحرك يديها وعلى نحو ما حصل حين ضغطت زر الكهرباء فدق الجرس وعلى نحو الآثار المختلفة التي تقدم ذكرها والوف الوف غيرها مما يرى الانسان في الخارج . ولما كانت اجهزة الانسان وتياراتهُ اول نشأتهِ متشابهة كل التشابه كانت الحركات التي تصدر عن الاطفال متشابهة اتم الشبه . فالطفل اول ما يولد يبكي او بالاحرى يحدث صوتاً يشبه البكاء . وهذا الصوت ناشئ من تأثر رئتيهِ بالهواء الخارجي . كذلك هو يدافع عن نفسه في اول ايامه بالطريقة الآلية الصرفة التي حبتهُ اياها الطبيعة فهو يستنجد عن طريق البكاء او هو يدفع بيديهِ . وتبقى هذه الحالات العكسية الصرفة (etats reflexes) عندهُ زمناً غير قليل بل منها ما يبقى مصاحباً طول حياتهِ

ولكن انقضاء زمن الطفولية الاولى يقضي معهُ على هذا الشبه و ينتقل الاولاد حينذاك من الحالة الانعكاسية التي يكونون فيها مثل مرآة تعكس ما يقابلها من الصور والموجودات والحوادث الى ما يسمونهُ بحالة الرغبة (etat de desir) وهي الحال التي يكون الطفل فيها أسير شهواتهِ ورغباتهِ بمعنى انهُ اذا رأى شيئاً استهواهُ ورغب في الحصول عليهِ تحكمت فيهِ فكرتهُ هذه حتى يهون عليهِ معها كل شيء حتى يهون عليهِ معها اتلف نفسهِ

وهذه الحال لا تختلف عن الحال العكسية الصرفة الا من حيث الكم والاتجاه . اما من حيث الكيف فهي وتلك الحال الاولى سواء وسبب هذا الاختلاف في الكم والاتجاه لا يرجع الى ارادة خاصة ولكنهُ محكوم بقوانين قاسية تمشي على الانسان وعلى الجماد وعلى سائر ما في هذا الكون مما يقع تحت عيوننا . واظهر هذه القوانين قانون بقاء الاصلح وتلاشي مالا فائدة منهُ . وقانون آخر متفرع عن القانون الاول وهو ان استعمال الشيء يزيدهُ قوة

وصلاحية واهمالهُ يضعفهُ و يفنيهِ . فاذا كانت بعض الاجهزة والتيارات في طفل اضعف منها في طفل آخر بطريق الوراثة او لسبب من الاسباب او كانت هذه الاجهزة على تساويها قوة فيهما مرّنت في احدهما واهملت في الآخر نتج عن ذلك على مرور الايام اختلاف اجهزتهما في التلقي والاصدار وكان لما يتلقاهُ الجهاز القوي من شدة الاثر في نفس الطفل ما يحرك في نفسهِ اشد الرغبة في حين يمر ما يتلقاهُ الجهاز الضعيف غير محسّ بهِ فكأنهُ لم يكن.

ولنضرب لذلك مثلاً واضحاً . طفل عمي بعد ثلاث سنوات من ولادتهِ . هذا الطفل لا يمكن ان تنتج عندهُ الرغبة لمسة على منظور من المنظورات . ذلك لان الحاسة التي تتلقى هذه المنظورات وتبعث بها عن طريق التيارات الاخرى الى المصادر التي تحرك النفس وتستدعي الرغبة تلاشت . وما يقال هنا يقال عن تلاشي اي جهاز معد لتلقي واصدار اي حركة او اي محسوس . هذا طبعاً الاّ اذا امكن الاستعاضة عن الجهاز المفقود بجهاز آخر ولو الى حد محدود . وفي هذه الحالة يكون التأثير الذي تحدثهُ الاشياء الخارجية في الاجهزة — او على نحو ما يقال عادة في النفس — متناسباً مع قوة هذه الاجهزة وضعفها . وهذا يدل ايّ الدلالة على ان حالة تحكم الرغبة لا تفترق عن الحالة العكسية الصرفة الاّ في الكم وفي الاتجاه مع اتفاقها معها في الكيف وسيرى القارئ ان حالة الارادة (L'etat volontaire) هي ايضاً طور خاص من اطوار الحالة العكسية يظن انهُ ارقى من تلك الاطوار ولكنهُ لا يغير شيئاً من نوع تلك الحالة

فارادة الواحد منا لا تتحرك من نفسها بل اجابة لمؤثرات خاصة تستثير منها الحركة . وهذه المؤثرات هي الاشياء الخارجية التي تمر بأجهزتنا وتحرّكنا . وحركتنا التي نعتقدها اختيارية صرفة ليست الاّ نتيجة تأثر الاجهزة والتيارات التي تحركت بانعكاس الحوادث والاشياء الخارجة عليها . وغاية الامر ان هذا الانعكاس اما ان يقابل أجهزة معدة لتلقيهِ فتتأثر بهِ بسرعة وبذلك ينتقل اثرهُ سريعاً ويحدث الحركة وهذا ما يحصل حينما تكون الحوادث والاشياء مما اعتادت اجهزتنا وتياراتنا تلقيهِ واصدارهُ . ومعلوم مما سبق ان التكرار يورث العضو او الجهاز الذي يحدث فيهِ قوة ومتانة وسرعة . وهذه الانعكاسات المتواترة هي ما نسميهِ بالعادات . واما ان يقابل ذلك الانعكاس اجهزة قليلة الاستعداد لهذا التلقي والاصدار . فحين ذاك تخترق الصورة بحجب تياراتنا مترددة وعلى مهل كما يخترق شعاع النور الضئيل غرفة من خلال زجاج غير شفاف . ترى هذا الشعاع كأنهُ تائه وسط الغرفة لا يستقر في مركز من الحائط المقابل الاّ بعد ان يزداد

مصدره قوة وثباتاً . هنالك يستقر اخيراً ويثبت . كذلك الصورة المنعكسة على اجهزتنا التي لم تعود تلقيها واصدارها تجد من هذه الاجهزة ارتياحاً في نقلها الى التيارات المعدة لنقلها الى مركز الحركة الذي يسمونه مستقر الارادة . وفي اثناء هذا التردد تنهال علينا عاداتنا القديمة وتذكاراتنا الماضية وتعاليمنا الخاصة وحالتنا الوراثية وما نحن فيه من صحة ومرض وظروف الوقت التي تحيط بنا والصدف التي تصرف الى حد كبير حياتنا فتثبت ارادتنا في ناحية من النواحي . وبكلمة اخرى تعدل تياراتنا النائلة للحركة الى الطريق الملائم لهذه الظروف والاحوال التي لا عداد لها والتي لم يكن لنا دخل ارادي في تكوينها . فهل مع وضوح المسألة الى هذا الحد يمكن القول بان الحال الارادية هي شيء آخر غير الحال العكسية وجهت جهة خاصة غيرت في كمها واتجاهها ولم تغير مطلقاً في نوعها وكيفها ؟

على ان لدينا دليلاً آخر ابلغ ما يكون في الاقناع بان حالنا الارادية ليست الا اثر تفاعل المواد المركب منها جسمنا مع نفسها ومع المواد الاخرى . وهذا الدليل يستنتج من حالتي السكر والمرض . ها هو صديقك مصمم كل التصميم على القيام بعمل خاص . ولقد رجوته كثيراً ان يعدل عن رأيه او يغير ارادته فرفض رفضاً باتاً مع تقديم اقوى معاذيره . وانكما لتسيران في الطريق واذا بالمطر ينزل فاضطررتما ان تميلا الى قهوة من القهوات . وطاب لكما المجلس واستمر المطر يهطل وخيم الليل واضاءت مصابيح الكهرباء ولذ لكما تناول شيء من الكنياك او الويسكي . ووجدتما صنف المشروب الذي قدم لكما جيداً فاستزدتما منه . أفترى صديقك باقياً على تصميمه الاول ام ترى فعل المشروب اخذ في نفسه وعدل آراءه وجعله شخصاً آخر غير الذي كنت تراه منذ ساعتين مضتا . فقد تراه اذا عرضت له فكرة اخرى يبدي فيها رأياً ربما كان نقيض ارأي الذي ابداه قبل نزول المطر . كذلك ترى هذه الحال عند اصابته بمرض . فانه يصاب بضعف في الارادة وفتور في تحول التيارات الفكرية الى حركات عملية وهمود عام تصير روحه ضعيفة مبلغ ضعف جسمه

وقعت على بعض امثال مما كتبه بعض كتاب الانكليز والفرنسويين في هذا الباب اريد ايرادها هنا دليلاً على ما قدمت

ادمن الكاتب الانكليزي دكوئسي الانيون حتى بلغ من ذلك ما لم يبلغه غيره . فوصلت به الحال الارادية الى حال من الضعف كادت تتلاشى معه . فكان يود من كل قلبه انفاذ عمل يراه ممكناً ويحس ان انفاذه واجب عليه ولكن حركته الفكرية كانت تخطى قوته العملية الى حد العجز فيه عن انفاذ ما يريد بل عن الشروع في ذلك . فكأنما كان تحت

سلطان كابوس يرى معهُ ما يريد القيام بهِ دون استطاعتهِ كما يشهد رجل اقعدهُ الضعف المهلك عن مغادرة فراشهِ المساعدة موجهة الى موضع من مواضع جسدهِ وعطفهِ فيلمس المرض الذي اقعدهُ ومنعهُ الحركة و يود ان يخلص نفسهُ من الحياة لو استطاع ان يقوم و يمشي ولكنهُ عاجز عجز الطفل ولا يقدر ان يقف على قدميهِ . (كتاب اعترافات آكل الافيون صحيفة ١٨٦ — ١٨٨)

وذكر الطبيب الانكليزي بنت حالة رجل كان لا يستطيع انفاذ ما يريد انفاذهُ . فكثيراً ما كان يرد خلع ملابسهِ ثم يبقى ساعتين عاجزاً عن القيام بهذا العمل مع ان قواهُ العقلية خلا الارادة كانت كاملة ولقد طلب يوماً كوب ماء فقدم اليهِ فلم يستطع تناولهُ رغم رغبتهِ فيهِ فترك الخادم واقفة امامهُ نصف ساعة قبل ان يستطيع التغلب على هذه الحال . وكان يقول انما يخيل لهُ ان شخصاً آخر يمسك بارادتهِ

ولقد ناضل الفيلسوف الفرنسوي مين دي بيران ليتغلب في نفسهِ على ما فيهِ من ضعف الارادة ووجهُ لذلك كل همهِ وكان كل ما يرمي اليهِ من فلسفة تغليب الارادة على النزعات الجسمانية . لكنهُ اضطر اخيراً ان يعترف « ان الحرية ليست الاَّ الاحساس بحال معين من احوال النفس نودلنفسنا ان تكون عليهِ ولكن هذه الحال متعلقة في الواقع باستعداد الجسد الذي لا نقدر من امرهِ على مسها وان كل الميول والعواطف التي يظنها الناس مصدر السعادة ليست الاَّ اثراً من آثار نظامنا الجسمي كالسعادة نفسها » (أفكار مين دي بيران ص ١١٧ وص ١١٩)

فذلك كلهُ يحمل على الاعتقاد بان اعصابنا وتياراتنا المادية هي التي تصدر عنها افعالنا التي تبعث بها ارادتنا وان اي مادة اخرى يمكن ان تؤثر في هذه الاعصاب والتيارات تغير في اتجاه الارادة والعمل . لذلك فما تقدم لا يدع مجالا للريب في ان الحالة الارادية ليست الاَّ طوراً خاصاً من اطوار الحال العكسية وانها متعلقة تمام التعلق بتأثر اجهزة الجسم وتياراتهِ بالآثار الخارجية وهذه الآثار هي المحيطات الزمانية والمكانية . ومعنى هذا ان الارادة الحرة لا وجود لها . فكيف والحالة هذه تمكن مثل مشترعي الاديان ومثل نابليون واضرابهِ ان يغيروا في وجه العالم بارادتهم ما غيروا وان يقيموا دعامة المدنية الحاضرة على الشكل الحالي اذا لم تكن ارادتهم الاَّ صدى الحوادث الخارجة عنهم

هذا هو القسم الثاني من الاعتراض الذي رأينا ان نرد عليهِ . ومبنى هذا الاعتراض

عند اصحابه انهم يفترضون الفرد الانساني وحدة قائمة بذاتها مؤثرة في العالم قبل ان تكون متأثرة به . كلا بل هي روح العالم كله على ما قالوا

وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

وعلى هذا الافتراض الوهمي الصرف بنوا نظريتهم في حرية الارادة مستندين بهذه الارادات العليا . ولكنهم اكبروا شأن الانسان اكباراً لا محل له . ليس الانسان الا ذرة من ذرات هذا العالم العظيم الذي لا تدري فيه حدود الزمان ولا المكان ولا تفقه لها معنى وهو ذرة ضئيلة لا يعبأ الكون بوجودها ولا يهتم بفنائها . فلو ان له قيمة خاصة في وجود العالم لما حقرت الطبيعة من شأنه الى حد ان لم تكترث له ولم تهتم به اكثر من اهتمامها باي جرذ وباي حجر وباي قطرة ماء في المحيطات الواسعة . ثم هي بمدنياته اقل اهتماماً ان كان لتناهي في الاقلية محل . أترى ان المدنيات المتعاقبة حادت بكوكب عن فلكه او قدمت كسوف الشمس او اخرت خسوف القمر او قلبت المد جزراً والجزر مداً . ام ترى ان ما تغيره المدنيات ليس هو الا حركة متناهية في الاقلية . وصغر الشأن اذا قيست بالبعوضة التي وقفت على قرن الثور . فاذا كان ذلك لم يبق محل لاعتبار الانسان مركز دائرة الفلك وانما يجب وضعه في الموضع اللائق به . ذرة تتحول من جماد الى نبات الى حيوان هو الانسان ثم الى جماد الى نبات آخر وهلم جرًّا

اذن ما هي هذه الارادات العليا . سمعنا كثيراً عن باخرة من البواخر استطاعت ان تقطع تيار التلغراف اللاسلكي الذي تبعث به باخرة اخرى . وعرفنا ان السر في ذلك ان تيار تلغراف هذه الباخرة اقوى من تلغراف الباخرتين المتراسلتين . فاذا ارادت ان تخاطب احداهما لم يحل دون ذلك حائل لان تموجات الاثير تساعد تيار سفنها لانها اقوى العدد والطبيعة تساعد القوي وتخذل الضعيف

والقوي هو المخلوق الاكثر ملاءمة للزمان والمكان اللذين يوجد فيهما والضعيف هو الاقل ملاءمة لها . تلك الآثار دامت العلة التي يقولون عنها في مجموع تيارات قوية اكثر من غيرها استعداداً لتلقي والاصدار . فاذا رقمت عليها الصور الخارجية وانقلبت عن طريق تياراتها الى حركة كانت هذه الحركة بحيث تأخذ بالانظار وتستدرج التيارات الضعيفة نحوها لتتلقى عنها على نحو ما اخضع تيار الباخرة القوية الباخرتين الضعيفتين . وهذه القوة هي سر البطولة اي النبوغ والعبقرية ولكن القوة في التلقي والاصدار ليست دليلاً على الحرية بل على حسن الاستعداد للوسط المحيط بالاجهزة العبقرية . فاذا نحن نسبنا الى هذه

الاجهزة الحربية كنا نكن ينسب الى شخص قوي الحافظة قصيدة يرويها لمجرد سماعها مع انهُ لم يكن الاَّ آلة بسيطة في تردادها . وكذلك فهؤلاء الابطال يرددون بقوة صدى الوسط الزماني والمكاني الذي يعيشون فيهِ متأثرين بعوامل ذلك الوسط نفسهِ فيضيع ذلك الصدى قوة جديدة تؤثر مع المؤثرات المحيطة بها

وهذا التفسير الموجز يسمح لنا ان نقول ان العظماء والابطال هم اكبر الناس استعداداً للبقاء والتغلب على امثالهم من الذرات الاخرى التي تنافسهم لانهم الاقوى والاصلح للبقاء . وهو يسمح لنا ايضاً ان نقول ان ارادتهم القوية لا تفترق في كيفها عن الارادات الاخرى وانما الاختلاف في الكمّ في القوة والضعف . وقد رأينا ان الارادة في الانسان ليست الاَّ طوراً من اطوار الحال العكسية في اتجاه خاص . اذاً فالحرية مفقودة من العظماء مبلغ ما في مفقودة من عامة الناس

يتبين مما سبق ان ما يسمى بالارادة ليس هو الاَّ المظهر الذي تنقلهُ الحركات الخارجية عن طريق اجهزتنا وتياراتنا المادية او المتعلقة بما فينا من مادة حسب تكوين تلك الاجهزة والتيارات وما توالى عليها من التقلبات والتغيرات من وراثة ومرض وعادات خاصة ووسط اجتماعي وغير ذلك من الآثار والمظاهر المادية وان ليس هناك شيء خارج عنا مصرف لنا غير المادة التي تكوننا وما في هذه المادة من قوة ملازمة لها متعلقة بها لا يمكن ان تنفصل عنها مهما بولغ في تحليلها

ولقد جعلنا وجهتنا فيما اتخذنا من الامثلة استظهار ابسط ما يصل اليهِ الحس مما وصلت الى تحليلهِ يد الانسان . ولو انا اردنا تلمُّس المثل من عالم الحيوان او عالم النبات لما اعوزنا . بل لو انا طرقنا باب ما اوصلت اليهِ مبادئ لبوزو في كتاب الفلسفة الجنائية لرأى القارىء كم تؤثر المظاهر الجسمية في الاخلاق وكيف توجه الارادة وجهاً خاصة . ولكنا لم نرَ محلاً للدخول في مسائل ربما ادَّى تعقيدها ودقتها بالشك ان يتسرب الى نظرتنا . فاكتفينا بابسط الاشياء وكانت نعم المساعد لنا في توضيح غرضنا

والى هنا نرى اننا اثبتنا مبدأ الجبر المطلق واقمناهُ على اساس متين . ولكن هل معنى ما تقدم انعدام المسؤولية وهدم الاعتبارات الاخلاقية . وان لم يكن ذلك فعلى اي اساس تقوم المسؤولية وكيف لنا ان نفرق بين الخير والشر وان نمدح فاعل الاول ونذم مرتكب الثاني؟ ذلك ما سنبينهُ في كلمتنا الثانية وهي عن المسؤولية

محمد حسين هيكل المحامي
دكتور في الحقوق

نصيب فرنسا من هذه الحرب

نشرنا في مقتطف يناير خلاصة مقالة للكاتب الانكليزي برنارد فوك موضوعها نصيب انكلترا من هذه الحرب وردت في مجلة لندن . وقد رأينا لهُ مقالة اخرى في جزء يناير من تلك المجلة موضوعها نصيب فرنسا من هذه الحرب فلخصناها بما يلي قال

ان الجهد الذي بذلهُ الفرنسويون والتضحيات التي ضحوها في سبيل وطنهم تفوق كل ما ذكرهُ التاريخ في سبيل محبة الوطن . وهم يفتخرون وبحق لم افتخارهم بمحاربون لتأييد العمران والعدل والحرية . والناظر اليهم يندهش من النهضة التي نهضوها لتخليص بلادهم من يد العدو الذي اجتاحها . ويزيد اندهاشهُ من الفوز الذي فازوهُ في هذا السبيل . فان العدو كاد يصل الى ابواب باريس وفي الثاني من سبتمبر سنة ١٩١٤ اي في مثل اليوم الذي حدثت فيهِ معركة سيدان كانت جيوش العدو قد انتشرت في نصف دائرة من أميان الى فتري الى شالون واحاطت بفردون وتنسي اي باكثر من مضاعف المسافة التي بلغتها بعد معركة سيدان وفي شهر من الزمان صار شمال فرنسا كلهُ من شنتلي الى تنسي في قبضة الالمان . ولكن ذلك لم يضعف عزيمة فرنسا فقاومت عدوها وابعدتهُ خمسين ميلاً عن عاصمتها واوقفتهُ هناك الى ان تمكنت حليفتاها من تعبئة جيوشهما والمبادرة الى معاونتها

مضى على انكلترا سنتان قبلما تمكنت من فرض التجنيد العام على رعاياها وكانت فرنسا في كل هذه المدة تقاوم المانيا وحدها تقريباً مع ان شعبها نصف شعب المانيا ومتاجرها ومصانعها واكثرها في اراضيها الشمالية في يد الالمان حتى امسى في كل بيت من بيوتها مناحة ومع ذلك لم يضعف عزمها ولا فترت همتها ولا ضعف املها بالفوز اخيراً . ولما احتدَّ القتال في جنودها وجنود حلفائها في اول الحرب حتى خيف ان تدور الدائرة عليهم شكت بعض الشكوى من ضعف همتنا ولكن لم يخامرها اقل ريب في مقدرتنا على مساعدتها لانها تعلم ان بريطانيا لا تستنفرُ بسرعة ولكنها متى نهضت لم تبخل بشيء لا بمال ولا برجال لتأييد القضية العامَّة التي يشدها الحلفاء ولا يسمع الآن من فرنسا غير الثناء على الهمَّة البريطانية التي كادت تدرك الهمَّة الفرنسوية او تسبقها

اما نحن الانكليز فاذا سمعنا هذا الثناء من الفرنسويين علينا فيجب ان لا ننسى ان الخط الذي يحاربون هم فيهِ في فرنسا اربعة اضعاف الخط الذي نحارب نحن فيهِ وان الفرنسويين

استدعوا للحرب كل رجل من رجالهم من ابن ١٧ سنة الى ابن ٤٨ سنة واما نحن فلم نستدع الاَّ الذين سنهم من ١٨ الى ٤٢ . ولما اخذنا نفكر في جعل معاملنا تحت السلطة العسكرية كانت فرنسا قد جعلت كل معاملها تحت السلطة العسكرية . ولما كنا ننظر في استخدام بعض نسائنا في الاعمال الحربية كان عشر العمال في الاعمال الحربية في فرنسا من النساء والآن صار ٢١ في المئة من النساء ونسبتهن تزيد يوماً فيوماً . وقد بلغ عدد العمال من نسائنا الآن عشرين في المئة والامر على زيادة لكي لا ندع فرنسا تفوقنا في هذا المضمار لاننا لسنا اقل منها اهتماماً بالفوز اخيراً

وعدد سكان فرنسا اربعون مليوناً فقط وتسع من اغنى ولاياتها واوسعها مصانع في يد الالمان ومع ذلك لا تزال سابقة لنا في مقدار ما تصنعهُ من الذخيرة لكننا كدنا نلحق بها وقد نسبقها في هذا العام . ويظهر مقدار الجهد الذي بذلتهُ فرنسا حتى سبقتنا في عمل الذخيرة من ان الولايات التي استولى عليها الالمان في شمالها سكانها ستة ملايين من النفوس وكان يستخرج منها ٧٠ في المئة من الفحم الحجري الذي يستخرج من كل فرنسا و٩٠ في المئة من حجارة الحديد و يسبك فيها ٨٥ في المئة من الحديد الزهر و ٧٥ في المئة من الحديد الصلب (الفولاذ) . فهذه النفوس وهذه المعادن فقدتها فرنسا كلها ومع ذلك استطاعت ان تصنع من الذخيرة اكثر مما نصنع نحن فاخذت الفحم من بلادنا والفولاذ من بلادنا ومن اميركا مع ما في النقل بحراً من الخطر . وهي تصنع الآن من الذخيرة نحو خمسين ضعف ما كانت تصنعهُ في بداءة الحرب ولا تزال مهتمة لتزيد هذا المقدار ايضاً

وقد زادت فرنسا على شعبها الضرائب ٣٥ مليوناً من الجنيهات في السنة مع ما نقصتهُ بسبب احتلال الالمان لاغنى ولاياتها . وهي تنفق الآن على الحرب ثلاثة ملايين ونصف مليون من الجنيهات كل يوم وقد بلغ ما انفقتهُ ٢٤٤٠ مليوناً من الجنيهات حتى آخر سنة ١٩١٦ واستطاعت ان تقدم بهذه النفقات كلها وان تساعد بعض حلفائها بالمال ايضاً فاقرضتهم ٦٦ مليوناً من الجنيهات لان الشعب الفرنسوي استخرج ما عبأهُ باقتصاده من الذهب واشترى به سندات حكومته حتى بلغ ما عندها من الذهب مئتي مليون جنيه وزاد اقتصاداً على اقتصاد لكي يستطيع ان يقدم الى حكومته ما تحتاج اليهِ من المال وجاد الوف منهُ بنصف دخلهِ السنوي

والفرنسويات المشهورات بتأنقهن في الملبس عدلن عن الانفاق على ملابسهن واخذن كل الاعمال البيتية وغير البيتية على عاتقهن ما دام رجالهن في الحرب . وهن الآن من امهر

عمال الذخيرة وقد نيطت بهنّ اعمال الزراعة فيقمن بها ولو سقطت قنابل المدافع على مقربة منهنّ ونيط بهنّ ايضاً كنس الشوارع وفتح الدكاكين وسائر الاعمال التي كان رجالهنّ يتعاطونها

ويظهر تأثير هذه الحرب الادبي في فرنسا على اشدّه باقلاع العمّال الفرنسويين عن الاعتصاب وكل ما يتمأزّ به وقد كان بالغاً حدهُ قبل الحرب . وبما اظهرهُ نساء بل من الصبر على المكاره وقد اجلاهنّ العدو من بيوتهنّ كما كان القدماء يجلبون الاسرى من البلاد التي يحتلونها . وبما اظهرهُ نساء فرنسا كلها من الصبر بعد ان فقدن رجالهنّ واولادهنّ

وكم من والدين قتل اولادهم كلهم كما قتل اولاد الجنرال ده كاستلنو الخمسة ولكن ذلك لم يضعف عزيمة فرنسا بل زادها مضاء . وقد كانت همتها تبدو على اشدها كما اشتدّ الخطر عليها وضاق المأزق الذي هي فيهِ . ولما نادتها حكومتها في بداءة الحرب قائلة « يطلب من البلاد ان تعطي كل ما عندها من الرجال والاموال وان تتشدّد وتتقوّى وتستعين بكل ما فيها من العلم والتدريب وتشق بنفسها وتنسى كل ما مضى ولا تهتم الاّ بالمستقبل وتتجه الى الامام » اجابتها ان سبيلنا معروف وعزمنا وطيد فلا بدّ من ان نحرز الظفر عاجلاً او آجلاً

لما احدق العدو بفردون بجيشهِ الجرار وصبّ عليها مجانق تقتحم حاسباً ان فرنسا تعجز عن مقاومتهِ وقفت تلك المدينة في وجههِ كسد من حديد وآلت حاميتها ان تحتفظ بها ولو سفكت كل نقطة من دمها . ولما آن الاوان استرجعت فرنسا في بضع ساعات ما اخذهُ الالمان منها هناك في ستة اشهر . ما اشد عزيمة فرنسا وما اعجبها . هذه هي فرنسا التي جهلها الالمان فزعموا انها شاخت واشرفت على الاضمحلال

هذه القوة المعنوية التي بعث من حليفتنا الباسلة هي من اهم مزاياها ولولاها لما استطاعت المقاومة الى الآن مع ما كانت فيهِ من عدم الاستعداد للحرب . ولا استطاعت ان ترسل الى ميدان القتال جيشاً كبيراً ومعهُ كل ما يلزم لهُ من الاسلحة والذخائر . ولا يزال هذا الجيش مع كل ما اصابهُ من النقص من اعظم جيوش الحلفاء . وفي اوقات نفسهِ بقيت عمارتها البحرية محافظة على بحر الروم وعلى سواحلها من جهة الاتلنتيك . ولولا مساعدة فرنسا لنا بحريًّا لكانت مهمتنا اشق مما هي وفي فرنسا الآن مليونان ونصف من جيوش الاعداء ومع ذلك استطاعت ان ترسل جانباً من جيشها الى غاليبولي وهي اول من ارسل جيشاً الى سلانيك وبسعيها حفظ الجيش الشرقي من الاضمحلال

والآن القيادة العامة في سلانيك للجنرال فرنسوي وفي البحر المتوسط لاميرال فرنسوي ولما اشتدت الازمة على روسيا ذهب اليها الجنرال بو وجماعة من رجاله وتولوا تنظيم جيشها وكذلك لما ضاقت حلقات الحرب على رومانيا بعثت اليها فرنسا بالضباط يقودهم الجنرال برتلو . والطيارون الفرنسويون منتشرون بطياراتهم في كل ميادين القتال ما عدا الميدان البريطاني . ومع كل ما يطلب من الفرنسويين في بلادهم تجد انهم جادوا بثمار عقولهم على كل حلفائهم فنحن في انكلترا مدينون لهم بكثير من الاصلاحات في الطيارات ويحق لفرنسا ان تفتخر وتقول انها خدمت كل حلفائها

لما رأت فرنسا ان الالمان استولوا على مناجم الفحم الحجري في الولايات التي احتلوها استخدمت قوة المياه المتحدرة من جبالها بدلاً منها بعد ان حوّلتها الى كهربائية وادارت بها معاملها وقام الكيماويون الفرنسويون واستنبطوا اصباغاً اجود من الاصباغ التي كانت ترد من المانيا . ولما استدعت الحرب شبان فرنسا كلهم جاء الكهول والشيوخ المتقاعدون من مستعمراتها المختلفة وقاموا هم والنساء بادارة الاعمال المختلفة . ورضي الفرنسويون عن طيب نفس ان تضاعف الضرائب على بيوتهم واراضيهم ومركباتهم وخيولهم وكل ما عندهم . وابطل المعدّون عيدهم السنوي الذي كانوا يعيدونهُ في اول شهر مايو واستقروا على العمل خدمةً لبلادهم وزادوا همةً ونشاطاً لكي تنال منهم بلادهم اقصى ما يستطيعون عملهُ

ولما رأى الالمان نشاط الامّة الفرنسوية من اطفالها الى شيوخها اضطروا ان يعترفوا رغم انوفهم ان ما قالوهُ قبلاً من ان فرنسا شاخت وقاربت الاضمحلال انما هو قول هراء قالوهُ لمجرّد الايهام

نعم ان همة فرنسا لم تتقارع مع كل ما قاسته من الشدائد وما لقيتهُ من الفشل بل زادت قوةً وثقة حتى ازدرت كل ما عرضهُ عليها الالمان من شروط الصلح وكيف لا تزدريها وهي لم تنسَ ما اصاب مدنها من الخراب ورجالها من القتل ونساءها من الاهانة . ولا يمكن ان تنقض عهودها حلفائها بل لا بدّ لها من الاستمرار على الحرب از ان تخمد شوكة المانيا وتنزع منها روح العدوان الذي هو أكبر خطر على العمران . لا بدّ لها من ان تحارب وتناجز عالمة ان كل ويلات الحرب لا تقاس بالضرر الذي يناله اذا نجا الالمان من يدها من غير ان يحل بهم ما يستحقون من العقاب

تأججت نار الحرب في فرنسا وفرنسا مستيقظة وهمتها شماء . توالى اطلاق المدافع على مدينة ريمس ومدارسها لم تقفل بل انتقل التلامذة والتلميذات مع معلماتهم الى الاقبية التي

تحت الارض وواظبوا على دروسهم . هناك تعلم ابناء فرنسا وبناتها وشاركوا ابناءهم في الحماسة الوطنية لانهُ لم ينقضِ نهار الاَّ سمعوا فيهِ درساً متعلقاً بالحرب . نعم ان ابناء فرنسا وبناتها الذين تعلموا مبادئ العلوم والقنابل تساقط على شوارع ريمس سيديمون ما اشتهر بهِ الفرنسويون من نشر لواء العلم والعرفان في اقطار المسكونة الاربعة

نحن في البلاد الانكليزية يفصل البحر بيننا وبين المانيا فلم يستطع احد من الاعداء ان يطأ ارضنا ولذلك يصعب علينا ان نتصور ما عانتهُ فرنسا منهم وما جاش في نفسها من البسالة لصدم — البسالة التي اوجبت على كل بيت ان يجود بكل ابنائهِ ثم يخفي حزنهُ في اعماق صدرهِ حينما يأتيهِ نعيهم . نحن في انكلترا عندنا ملايين من الرجال لم يدخلوا ميدان الحرب حتى الآن اما في فرنسا فلم يمتنع عن الذهاب الى الحرب الاَّ الذين لا غنى عنهم للقيام بسائر الاعمال

في الخريف الماضي استثنينا ٣٦٠٠٠٠٠ رجل من الخدمة العسكرية اما فرنسا فاستثنت ٥٦٠٠٠٠ لاغير ومن المحتمل انها لا تستثنيهم سنة ١٩١٧ بل تعتمد في تشغيل مناجمها ومعاملها على النساء والشيوخ الذين سنهم من ٤٨ فما فوق

فخليق بفرنسا ان تلتفت الينا وتقول لنا ان الامَّة التي جادت بكل رجالها للحرب وبكل كنوزها للدفاع عن حوزتها وحوزة حلفائها واستخدمت كل نسائها في ما يحفظ حياتها لقد قامت بكل ما يطلب منها وصار عليكم ان تقتفوا خطواتها وتجودوا بكل رجالكم لانقاذ العمران مما يتهددهُ من الاضمحلال . ولا يحتمل ان يقع صوتها على آذان صماء بل علينا ان نجاريها ونقابل الحمة والعزيمة بالحمة والعزيمة ونبذل اقصى ما نستطيعهُ من الجهد اقتداء بالامة الفرنسوية

هذا ما كتبهُ كاتب انكليزي منوهاً بمقدرة فرنسا واستبسالها في هذه الحرب بعد ما كتب ما كتبهُ عن انكلترا ومقدرتها واستبسالها ومن المحتمل ان يكتب مثل ذلك عن روسيا وايطاليا وسائر الحلفاء . ونوكتب عن الالمان وحلفائهم لظهر انهم بذلوا ما بذلهُ الانكليز والفرنسويون او اكثر منهُ . فالى متى تستطيع هذه الدول البذل من الرجال والمال . لا شبهة ان لكل شيء حداً وان الاستمرار على هذه الخطة لا يحتمل ان يدوم سنين كثيرة . ويظهر من دلائل شتى ان المتحاربين سيضطرون الى طرح السلاح في غضون هذه السنة وان الصلح سيبنى على قواعد تمنع نشوب الحرب سنين عديدة بعد الآن

الشيخوخة وامالي حيوية

نقلاً عن العلامة متشنيكوف

(٤) العلاقة بين طول العمر والجهاز الهضمي

معاً بحثنا ونقشنا في نظام الجهاز التنفسي والدموي والبولي وفي الاعضاء العصبية والتناسلية فاننا لا نجد ركناً نستند اليهِ في تفسير قصر حياة ذوات الثدي بالنسبة الى حياة الطيور وحياة ذوات الدم البارد ولا نجد تعليلاً لذلك الاَّ في الجهاز الهضمي

يختلف التركيب التشريحي للجهاز الهضمي في ذوات الفقرات اختلافاً كبيراً في حجمهِ وهيئتهِ ووضعهِ فهو يغلظ ويكبر حجمهُ في ذوات الثدي ويضعف على سلسلة نازلة من الزحافات الى الحيوانات الامفيبية (التي تعيش في الماء والهواء كالضفادع) فالاسماك فالطيور . ففي الزحافات يصغر حجمهُ كثيراً ويكون المعى الغليظ فيها بشكل جيب جانبي يشبه الاعور في ذوات الثدي . وفي الحيوانات الامفيبية تقل اهميتهُ كثيراً ويظهر فيها بشكل كيس كبير متسع . وفي الاسماك هو اقل الجهاز الهضمي اهميةً اذ يكون فيها بشكل قناة قصيرة وقليلة الاتساع بالنسبة الى المعى الدقيق . ويختفي في الطيور كل اهميتهِ وفي بعضها يفقد بالكلية وفي البعض الآخر يكون بشكل خط مستقيم . ويكون للبعض الآخر اعوران قصيران او اثنان كما في الثور والبزاة وكواسر الليل وكواسر النهار والحمام والدجاج والبط . واما في الطيور العدَّاءة كالنعام فيغلظ الاعوران كثيراً وقد وجدنا طولها في النعام الاميركاني المعروف بالناندر يعادل تقريباً طول ثلثي المعى ووزنهما يخطو بان ٨٨٠ جراماً وهو يعادل $\frac{1}{5}$ ثقل النعامة

فالمعى الغليظ ضعيف في الطيور ولا وجود لهُ في بعضها واما في ذوات الثدي فكبير الحجم ويبلغ حدَّاً كبيراً من النمو والاتساع ولهذا سمي بالمعى الغليظ . وسمي المعى المتوسط بينهُ وبين المعدة بالدقيق لدقتهِ وضيق قناتهِ وهو قسمان اكبرهما يعرف بالقولون وهو لا يكون كبيراً وثانياً الاَّ في ذوات الثدي واصغرهما طرفهُ النهائي الذي يغور في الحوض . ويتخذ المعى الغليظ بسبب طولهِ شكل التلافيف ولا يستقيم الاَّ في طرفهِ النهائي ولهذا سمي بالمستقيم فيشبه وضعهُ في الحوض شكل المعى الغليظ في بقية ذوات الفقرات

يستنتج مما سبق نتيجتان صحيحتان الاولى ان ذوات الثدي اقصر عمراً من الطيور ومن ذوات الفقرات الدنيا والثانية ان المعى الغليظ في ذوات الثدى اطول كثيراً مما هو في بقية ذوات الفقرات - فهل كان ذلك اتفاقاً او ان بين الامرين رابطة سببية ؟ وهذا ما نريد بيانهُ والجواب عليهِ

وبياناً لذلك يجب ان نعرف ما هي وظيفة المعى الغليظ وما هي درجة عملهِ في الهضم - فنقول اولاً انهُ بالاجمال لا يقوم بوظيفة الهضم الاَّ ما قل وندر كما يظهر من التفاصيل الآتية التي نبين فيها عملهُ في كل صف من رتبة ذوات الفقرات

ففي الصفوف الواطئة كالاسماك والامفيبيا والزحافات والطيور ليس المعى الغليظ سوى مخزن للفضلات الغذائية لا يعمل في هضمها اقل عملٍ لانها تهضم في المعدة وفي المعى الدقيق قبل ان تصل اليهِ ولكن الاعور يقوم بعمل صغير قليل الاهمية واما الزحافات وهي الصف الاول من ذوات الفقرات الذي يظهر فيهِ هذا المعى فقد يكون لهُ بعض العمل الهضمي لشابهتهِ للمعى الدقيق لانهُ لا يختلف عنهُ الاَّ قليلاً - واما الطيور فهي بعكس ذلك لان الاعورين فيها ينفصلان انفصالاً تامًّا عن القناة الهضمية فترد اليها كمية من الغذاء وتستقر فيهما مدة طويلة حيث يتم هضمها - وقد وجد بعضهم في اعوري الطيور عصارات لهضم الزلال والنشا وتحويل سكر القصب ولكنهُ لم يجد عصارة لهضم المواد الدهنية - على ان قوة الهضم هذه ليست قوية لان استئصال الاعورين من الديوك والبط لا يشوش بنيتها وتستطيع ان تحتملهُ بسهولةٍ - وبما ان الاعورين اثريان في عدد كبير من الطيور ومفقودان في كثير منها فمن اواضح انهُ يمكن الاستغناء عنهما وانهما سائران في الطيور القهقرى ما عدا الطيور الداجنة فانهما ناميان فيها نموًّا كبيراً - الاَّ اننا لا نعرف شيئاً ثابتاً عن وظيفتهما الهضمية فيها

وهذه الاختلافات هي في ذوات الثدي اظهر واكبر مما هي في الطيور لان المعى الغليظ يكون في بعض انواعها كما في الخفاش شبيهاً بالمعى الدقيق ويظهر كأنهُ استطالة منهُ واذا كان كذلك وجب ان يكون لهُ بعض العمل في الهضم الاَّ ان هذه الحالة هي حالة استثنائية - والغالب ان يكون المعى الغليظ منفصلاً بصمام عن المعى الدقيق انفصالاً واضحاً وان يتصل بالاعور الذي يبلغ احيانًا حجماً كبيراً جدًّا ويكون في الفرس على هيئة جيب كبير مخروطي الشكل منتفخ الجدران ومعدل سعتهِ ٣٥ لتراً - ويظهر نموًّا زائداً في الحيوانات الاخرى التي تقتات بالنبات كالفيل وفي قسم كبير من الحيوانات القارضة فترد اليهِ المواد الغذائية بمقادير

كبيرة وتستقر فيه مدة طويلة ولا ريب انهُ يفعل في هضمها . الاَّ انهُ في كثير من ذوات الثدي التي تفتات بالحوم يكون مفقودًا كالقط والكلب ففعلهُ الهضمي اذًا اما مفقود واما ضعيف الى درجة لا يعتد بها . واما المعي الغليظ نفسهُ فلا ريب في انهُ لا يقوم بعمل هضمي مهما كان صغيرًا الاَّ في حالة استثنائية كما في الخفاش لان البحث لم يكشف عملاً هضميًا للمعي الغليظ في الجرذ والفار . وقد اثبتت الابحاث الكثيرة في الانسان ان القولون لا يعمل في الهضم واظهرت ابحاث علماء الفسيولوجيا ان هضم الاغذية وتمثيلها يكاد ينحصر في ذوات الثدي في المعي الدقيق وان المعي الغليظ لا يقوم بعمل هضمي الاَّ في بعض الاحوال المرضية التي فيها تنتقل المواد الغذائية مع ما يخالطها من العصارة الهضمية من المعي الدقيق الى المعي الغليظ حيث يتم هضمها . ويجري هذا الانتقال بفعل الحركة الدودية للمعي الدقيق

فالمعي الغليظ ليس عضوًا للهضم ولكنهُ يمتص السوائل اواردة من المعي الدقيق بدليل ان بقايا الاطعمة تخسر سوائلها فيه فتجمد المواد البرازية وهذا الامتصاص يقتصر على الماء دون سواهُ اي ان القولون يمتص الماء بسهولة ولا يمتص بقية السوائل

وقد توجهت الانظار الى درس هذه المسئلة درسًا طويلاً لانهُ كثيرًا ما يعرض في بعض الامراض ان تمتنع تغذية المريض من الفم فتعرض حياتهُ لخطر الشديد ان لم يعوض عن الفم بطريق آخر فجربوا الحقن بالمواد الغذائية عن طريق المستقيم واسفرت النتيجة عن فائدة محدودة الى مدة محدودة لان قدرة المعي الغليظ على الامتصاص محدودة . وظهر لبعضهم ان القولون كلهُ لا يمتص اكثر من ٦ جرامات من الزلال وهي كمية صغيرة من القوة الغذائية اللازمة وظنوا انهُ يستطيع ان يمتص باكثر سهولة المواد الشبيهة بالزلالية اذا سبق هضمها هضمًا صناعيًا وتحولت الى بيتون فظهرت النتيجة غير كافية وثبت من التجارب الحديثة على كلب اصيب بناسور في الاعور وعلى انسان فيه ست صناعية في القولون ان المعي الغليظ لا يمتص زلال البيض ولا الكزين لا يمتص الاَّ ما قل من الماء وسكر القصب والجليكوز ولكنهُ يمتص السوائل القلوية لمواد البرازية . ورغم ضعف قوته هذه قد يمكن ان يغذى المريض ببعض السوائل الغذائية واخصها اللبن

فالمعي الغليظ اذًا ليس عضوًا للهضم بل للافراز لانهُ مجهز بكمية من الغدد الصغيرة التي تفرز مخاطًا لترطيب المواد البرازية وسهولة اخراجها . واذا كان ذلك كذلك فهل تعلل زيادة نموه في ذوات الثدي عما في بقية ذوات الفقرات ؟

جوابي على ذلك ان المعى الغليظ اتخذ حجماً كبيراً في ذوات الثدي لكي تتمكن من العدو مدة طويلة بدون ان تضطر الى الوقوف للتغوط وعلى ذلك يكون المعى الغليظ مستودعاً لفضلات الطعام وتكون وظيفته حجز تلك الفضلات مدة ما طالت او قصرت

ان الحيوانات الامفيبية والزحافات كسولة وبطيئة الحركة وهي كذلك لانها مجهزة بجهاز دفاع يقيها من الخطر كالسم في الافعى والدرقة المتينة في السلحفاة والقوة الفائقة في التمساح . واما ذوات الثدي فتحتاج الى العدو بسرعة لتقبض على فريستها او تنجو من عدوها وهي لا تستطيع ان تقوم بهذه الحركة الخفيفة الا بسبب نمو قوائمها وزيادة حجم معاها الغليظ الذي تحجز فيه المواد البرازية مدة طويلة

والمعروف ان ذوات الثدي تضطر عند تفريغ امعائها الى الوقوف واتخاذ شكل خصوصي ولا يخفى ما في ذلك من الخطر عليها في الدفاع عن حياتها . والحيوان من ذوات الثدي آكلة اللحوم الذي يضطر الى الوقوف عند ما تنقضاض على فريسته يكون اقل اهلية من الحيوان الذي يعدو وينقض بدون اضطرار الى الوقوف . والحيوان من ذوات الثدي آكلة النبات الذي يعدو بسرعة هرباً من حيوان مفترس يستطيع ان يتجنب الخطر بمقدار ما يستطيع ان يعدو بلا وقوف . وقد انكر بعضهم عليَّ هذا الرأي واعترض بان المستقيم يكفي وحده لحجز الفضلات الغذائية وان الخيل تستطيع ان تبرز اثناء عدوها . على اني لا أرى قيمة لهذا الاعتراض لان المواد البرازية اذا اجتمعت في المستقيم ظهرت الحاجة الضرورية الى طردها فهو لا يستطيع ان يحجزها مدة طويلة ولان الخيل التي تبرز اثناء جريها هي الخيل المقرونة الى العربات التي تعدو الخبب واما اذا كانت طليقة واسرعت في عدوها فانها لا تقدر على التبريز الا اذا وقفت ولم يقل احد انهُ شاهد خيل السباق تبرز في جاريتها جريها السريع . وحيثما وجدت الحيوانات الخفيفة كالغزلان والوعول في البراري والحقول او في الحدائق الفسيحة لا يشاهد برازها الا متجمعاً . وفي الدفاع عن الحياة سواء كان بالانقضاض على الفريسة او بالهرب من العدو لا يسير الحيوان سيراً بطيئاً او يعدو الخبب كما تسير او تعدو الخيل المقرونة الى العربات بل يعدو عدواً سريعاً كما لا يخفى وبناء على هذه النظرية تكون زيادة نمو المعى الغليظ موافقة لحاجة الجسم الجوهرية في الدفاع عن الحياة ولكنهُ رغم هذه الفائدة اصبح مصدراً لكثير من العوارض المرضية ومن ثم

لتقصير مدة الحياة لان فضلات الطعام التي تجتمع وتحجز في المعى الغليظ تصير مأوى للكروبات وتحدث فيها اختمارات شتى واحدها اختمار التعفن الذي يضر بالصحة اضراراً متنوعة وبالنتيجة اصبح سبباً لتقصير العمر

لا ينكر ان يبقى بعض الناس بضعة ايام بدون ان يفرغوا امعاءهم من الفضلات الغذائية وبدون ان يضرُّوا ضرراً مباشراً الاَّ ان الغالب ان يعقب ذلك اضطرابات صحية مختلفة وخصوصاً في اصحاب الاجسام السمينة وكثيراً ما نرى ذلك في الاطفال فتظهر اعراض التلبك المعوي في الطفل بصعود الحرارة الى الدرجة ٣٩ و٤٠ وسرعة النبض واكداد السحنة وغور العيون والاضطراب والارق ووسخ اللسان والبخر واحياناً بالتشنجات ويبوسة الرئة والحوَل مما يدل على تطرق السموم الى النسيج العصبي وقد تشتد الاعراض الى درجة الاغماء ويغلب ان يظهر نقاط على الذراعين والفخذين والاليتين او يحصل اسهال نتن الرائحة وكلها اعراض تنذر بالخطر وتشفى غالباً بعد تنظيف الامعاء بمسهل تنظيفاً كافياً

وتصاب النفساء بعد حجز المواد البرازية بقشعريرة برد شديدة يعقبها حمى فتصعد الحرارة الى ٣٩ ويشتد الم الرأس والبطن ويسرع النبض ويوسخ اللسان وتنتن رائحة النفس وتفقد قابلية الطعام ويشتد العطش ويظهر القولون باجزاء متصلباً لما فيه من المواد البرازية المتجمدة فحتى النفساء مسهلاً وتساعد بحقنة في المستقيم ويُقصر غذاؤها على اللبن لتفرغ الامعاء وتزول كل الاعراض المرضية وتعاود الى الصحة بسرعة

ويؤثر حجز المواد البرازية بنوع خصوصي في المصابين بالامراض القلبية والكبدية والكلوية فيجب عليهم ان يحافظوا دائماً على نظام جهازهم الهضمي وان يتقوا القبض غاية جهدهم

يعرف ذلك كلُّ الاطباء الذين تقع هذه الحوادث تحت نظرهم ويعرفون النتائج الحسنة التي تحصل بعد تنظيف الامعاء بالمسهل . وثبت بتجارب في الحيوانات ان حجز المواد البرازية الصناعي بعد ربط المستقيم او قسم آخر من المعى يوقع الحيوان في خطر كبير

لا يبقى بعد ذلك مجال للريب في ان المكروبات تتكاثر في الامعاء في الفضلات الغذائية وتكون مصدراً للمرض واذا خلت المواد البرازية من المكروبات كما هو الحال في براز الجنين او براز الطفل المولود حديثاً المعروف بالميكونيوم خلت من الضرر . ولا ينكر وجود مكروبات في المواد البرازية عديمة الضرر الاَّ ان وجودها لا يمنع ضرر المكروبات الاخرى

التي حاول العلماء بيان عملها وتعيين ضررها فاعترضتهم صعوبات جمة فزعموا انها تفرز سموماً تمتصها جدران الامعاء فتحصل العوارض التي ذكرت . وعلى ذلك شاع مذهب التسمم الذاتي في الاطفال والحوامل والنوافس والمصابين بامراض القلب والكبد والكليتين وحاول العلماء عزل تلك السموم ليتمكنوا من درسها درساً دقيقاً فاعترضتهم صعوبات كثيرة لانهم يضطرون في عزلها الى الترشيح والحرارة ومضادات الفساد التي تفسد بها السموم المكروبية فتضيع الغاية من استعمالها . وقد نجح بعضهم اخيراً بمعالجتها بحرارة ٥٧ — ٥٩° وهي الحرارة التي يرجح انها لا تفسد فعل السم كما تفسده الحرارة العالية وحقنوا بالسم الناتج بعد هذه العملية اوردة الارانب فماتتها بسرعة . وحقنوا بعضها بكميات صغيرة فاحدثت الحقن فيها انحرافات شبيهة بما يحصل من عجز المواد البرازية وجروا على هذه الطريقة في تحضير سموم المكروبات التي تتولد في انسداد الامعاء وحقنوا الحيوانات بها فظهرت فيها الاعراض التي تظهر في حالة انسداد الامعاء في الانسان او في احوال عجز المواد البرازية من اي سبب كان وهي القيء والتشنج والتواء الرقبة والظهر الخ

والسموم المرضية لم تدرس كلها درساً كافياً وما عرف منها الى الآن يدلُّ جلياً على انها تدخل البنية بواسطة امتصاصها من الجدار المعوي . ومن امثلة ذلك سم الحموم المتددة وهو سم اذا اعطيت منهُ نقطة لارنب اماتتها باعراض تشبه اعراض التسمم الذي يحصل من تناول المواد الغذائية الفاسدة . ومنها سم الحامض البوتيريك والسموم التي تنتج من تعفن المواد الزلالية التي تنتشر كثيراً في المعى الغليظ وتظهر غالباً بعد انحراف الهضم بجشاء غاز فاسد تشبه رائحتهُ رائحة البيض المذر (وهو غاز الهيدروجين الكبرت وغاز المستنقعات) وبالبراز الخبيث النتن وهذا لا يبقي ريباً في فعل مكروبات التعفن

وما خلا السموم المكروبية في الامعاء توجد سموم اخرى لا ريب فيها كبعض مشتقات البنزول كالفينول والبنزيدين الخ (وكالاملاح الشادرية وكثير غيرها . وما من احد يجهل ان القبض يساعد كثيراً على التعفن المعوي ويحدث من ثمَّ انحرافاً في الصحة . وبراز المصابين بالقبض يحتوي على كمية صغيرة من المكروبات لا تدل على ما هو حاصل في البنية لانها اذا فرَّغ المعى بحقنة او بمسهل خرجت كميات كبيرة من البكتيريا من انواع متعددة فضلاً عن ان فحص البول يدل على زيادة المواد الاثيرية المحوَّلة التي تتولد من التعفن المعوي

ولا يبعد ان تتطرق المكروبات المعوية مباشرة الى الدورة الدموية لاننا كثيراً ما نشاهد في الجوارض التي تحصل من حقن المواد البرازية اعراضاً كثيرة شديدة الشبه باعراض العلل الحقيقية المستقلة ولعل الابحاث المستقبلة اذا وجهت الى هذا السبيل تكشف وجود مكروبات من مصدر معوي في دم الاطفال المرضى وفي دم الحوامل والنوافس

قد تضاربت الآراء في مسئلة مرور المكروبات من الجدار المعوي وكثر الاخذ كثيراً في هذا الموضوع بدون ان يستقروا على رأي الاَّ انهُ لا يصعب علينا ان نقف على الظواهر التي تظهر في المعى الكثير المكروبات . فالجدار المعوي السليم هو حاجز قوي يمنع دخول المكروبات الى الجسم ومع ذلك لا يخلو ان بعض البكتريا تخترقهُ فتدخل الى الدم والى الاعضاء . فقد اظهرت التجارب الكثيرة التي اجريت في الحيوانات ان المكروبات تخترق جدران الامعاء وتستقر في الغدد الليمفاوية المجاورة او في الرئتين والطحال والكبد واحياناً تسير الى الدم والليمفا . ثم بحثوا ليعلموا هل تخترق تلك المكروبات سطح الجدار السليم او انها لا تخترقهُ الاَّ اذا كان مصاباً بعلة ما فصرحت على ان ذلك لا يفيدنا فائدة عملية . لاسيما ان جدار القناة الهضمية سريع العطب يؤذيه اقل لمس حتى أن الين المجسات اذا ادخل الى المعدة قد يحدث فيها اذى كافياً لاختراق المكروبات منها الى الدم رغم كل ما يؤخذ من الاحتراس في هذا العمل البسيط الدقيق . ثم ان جدار القناة الهضمية في الحياة الاعتيادية يسهل غالباً سبيل المرور للمكروبات كما يستدل من وجودها على الدوام في الغدد المعوية في الحيوانات السليمة والجيدة التغذية

لا مشاحة ان المكروبات المعوية وسمومها قد تنتشر في الجسم وتحدث فيهِ اعراضاً مختلفة نوعاً واهميةً وان المكروبات اذا كثرت في القناة الهضمية اصبحت مصدراً للمرض ومن ثم سبباً لقصر الحياة . وبما ان المعى الغليظ هو اكثر القناة الهضمية مكروبات وبما انهُ اكثر التساعاً في ذوات الثدي مما هو في سائر انواع ذوات الفقرات فيجوز لنا القول انهُ سبب كبير لقصر عمرها

الدكتور

امين ابو خاطر

اليانصيب او اللوتريه

(٢)

اليانصيب ضرب من المقامرة والمقامرة ميل شائع بين جميع صنوف الخلق فقيرهم وغنيهم باديهم وحاضرهم صغيرهم وكبيرهم ولا عجب في ذلك لان لها اصلاً ثابتاً في الغريزة مهما دفنهم روح المقامرة . وسبب هذا الروح او هذا الميل الانطباع على حب التغيير والمفاجأة ولاسيما اذا كان في هذه المفاجأة بعض مصلحة لصاحبها كما في القمار . فان الانسان يكره الاقامة على حال واحدة ويملها ولو كانت حال غبطة ونعيم مستمر ويعوذ منها بالانتقال الى اسرة قد تكون شراً منها عليه . ولو كان المقامر يعلم علم اليقين انهُ خاسرٌ في امره لا محالة ما القى بيديه الى التهلكة ولا لعب ولكنهُ يرتجي الربح منهُ كما يخشى الخسارة فيقدم عليه متوكئاً على الصدفة وهي شرّ متكإ لانها ان صدقت يوماً كذبت دهراً . فالقمار في عينه موضوع رغبة ورهبة معاً على حدّ قول الراجز في ممدوحه

ما يرتجي وما يخاف جمعا فهو الذي كالغيث والليث معا

او هو كذكرى الميت حلوة مرة او كالعشق جامع بين النقيضين اللذة والالم كما في قول المتنبي

تلذُّ لهُ المروءة وهي تؤذي ومن يعشق يلذّ لهُ الغرامُ

وربما كان لروح المقامرة سبب آخر هو حبّ الانسان الاستزادة مما يملك فان كان معسراً لا يملك غير فلس واحد طلب المزيد حتى يكون لهُ فلسان او ثلاثة . او كان متوسط الحال طلب ان يكون موسراً . او موسراً واقفاً عند حدٍّ طلب تخطي هذا الحدّ الى ابعد اذ الايسار درجات ومراحل يحطئها العدّ

والقمار فوق هذا كله تسلية للفقير وباب واسع للعيش فهو يقضي العمر فيه لا ينتقل من امل الى امل ومن امل وتحدد في سلسلة طويلة آخرها الموت . فهو من هذا القبيل كالمخدرات المدمنيها فانها تبعث السرور في شاربها وتريه وجه الحياة منيراً عند مفارقتها بعد ان يراهُ اسود قاتماً في ساعات صحوه وباب العيش واسعاً بعد ان يراهُ ضيقاً . لذلك أرى ان سعي الساعين في منع القمار والمسكر منعاً باتاً سعي في غير محله لانك اذا سددت باب الامل والانغباط الذي يفتحانه في وجه مدمنهما كنت كمن يسدّ ابواب العيش في وجهه فيحاول الالتجاء من هذه الحالة الى اخرى قد تكون اشدّ خطراً على الامن العام منها

ولنأتِ الآن الى اليانصيب بعينهِ فنقول : في القطر المصري ابواب كثيرة لليانصيب فعندك سندات البنك العقاري المصري . وعندك الجمعيات الخيرية الدائمة وهي تزيد على العشرين عدًّا . وعندك المشروعات الخيرية الوقتية التي تقام لمساعدة هذا العمل الخيري او ذاك ثم تحلّ اذا انقضت غايتها

اما البنك العقاري فمشروع اليانصيب فيهِ مشروع غير مبنيّ على الصدفة البحتة التي تعرّض صاحبها للخسارة الكثيرة بل لا محال فيهِ للخسارة البتة لانهُ فرض فائدة لسنداتهِ نحو اربعة في المئة يعطي منها ثلاثة نقداً لاصحاب السندات ويجعل الواحد الباقي ربحاً لاصحاب النصيب منهم بالوزنة بالقرعة فهو والحالة هذه خارج عن موضوع هذا المقال

واما المشروعات الخيرية الوقتية التي تعددت عندنا في السنين الاخيرة بسبب الحرب فالقرض الاول منها اعانة اهل البؤس والمتربة وقد الحق بها اليانصيب ترغيباً للعامة فيها ولا نحسب غنياً اقدم عليها قصد الكسب من يانصيبها . وهذه المشروعات تنقضي دائماً بانقضاء « السحب » . بقيت الجمعيات الخيرية الدائمة ومدار الكلام عليها في هذه المقال

قلت فيما تقدم ان في القطر المصري عشرين او اكثر من الجمعيات الخيرية الدائمة التي تجمع الصدقات باليانصيب للعوزين من الذين ينتمون اليها . ولا بأس بعدّها على قدر المستطاع وهي : الجمعية الخيرية الاسلامية ويسميها باعة اوراق اليانصيب « اسلام مصر » لان مركزها في القاهرة . وجمعية العروة الوثقى ويسمونها « اسلام اسكندرية » لان مركزها في الاسكندرية والجمعية الخيرية للروم الكاثوليك في القاهرة ويسمونها « سمعان مصر » والجمعية الخيرية للروم الكاثوليك في الاسكندرية ويسمونها « سمعان اسكندرية » والجمعية الخيرية المارونية ويسمونها « شبرا » . والجمعية الخيرية السورية للروم الارثوذكس . وجمعية السريان . وجمعية الاسعاف . والجمعيات الخيرية اليونانية منها اثنتان في القاهرة وواحدة في كل من الاسكندرية وبورت سعيد والاسماعيلية والسويس وطنطا والمنصورة وشبين الكوم (وربما كان في بنادر اخرى جمعيات لا اتذكرها) . والجمعية الخيرية القبطية . والجمعية الخيرية الاسرائيلية . واليانصيب حلوان الخ

ولهذه الجمعيات « سحب » واحد في الاسبوع الاّ الجمعية الخيرية للروم الكاثوليك في فان لها سحبين الواحد مساء الخميس والثاني مساء الاحد . واوراقها اكثر رواجاً من سائر الجمعيات ما عدا الجمعية الخيرية اليونانية في القاهرة او « روم مصر » في لغة الباعة وسبب رواج هذه الاخيرة ان جائزتها الاولى ١٢٠ جنيهاً والثانية ٢٠ جنيهاً وتليها جوائز اصغر

منها حق نزولك الى الجنيه او البنسو فنهما ١٢٠ جائزة ولكن يقابل هذه المزية الظاهرة ان عدد اوراق الجمعية ٥٠ الفاً في حين ان عدد الاوراق في جمعية الروم الكاثلك بالقاهرة مثلاً ١٢ الفاً وجائزتها الكبرى ٤٠ جنيهاً تليها جوائز اخرى صغيرة لكنهم اقل عدداً . والشارون يسون ذلك او يتناسونهُ

والفرق بين المقامر الصرف اي لاعب البوكر والروليت والبكرا واشباهها وبين اللاعب باوراق اليانصيب ان الاول يلعب في السر ويذكر اللعب اذا قيل لهُ فيهِ ولا يعترف بهِ الاَّ لنظرائهِ وسائر من لا يخشى عتابهُ على ان القمار معرة ورذيلة لا مسوّغ لها اما الثاني فقد يخفى عليهِ انهُ مقامرٌ لا مساعدٌ للجمعيات الخيرية اي ان الغرض الوحيد من ابتياعهِ ورقة اليانصيب امل الربح لا حب الخير ولكن لما كان اليانصيب مقروناً بالجمعيات الخيرية وكان الغرض منهُ مساعدة الفقير فقد اتخذ المقامر هذا الغرض الخيري ستاراً لغرضهِ الحقيقي اي الكسب فاذا قيل لهُ في شراء الاوراق اجاب اني اشتريها ابتغاء وجه الله ومساعدة لاهل البأساء والضرّاء

ولو انحصر ابتياع اوراق اليانصيب في الاغنياء والمتوسطين الذين ينفقون عن سعة او لو وقف اللاعب باوراق اليانصيب عند حدٍّ محدود اي لو اقتصر كلّ يوم على مشترى ورقة او ورقتين ما قلنا عليهِ كلمة ولو كان في الورقة والورقتين خراب العامل الصغير الذي لا يكاد عمل يومهِ يكفي لسدّ جوع عيالهِ . ولكن الاكثرين ينفقون من اعوازهم ويشترون من الاوراق ما لا طاقة لهم باحتمالهِ زماناً طويلاً فيبيتون كالمقامر البحت الذين امامهُ والفاقة وراءهُ . ولست ارائي مخطئاً اذا قلت ان اليانصيب في هذه الحالة شرٌّ من القمار لانهُ لهو الفقراء في حين ان القمار لهو الاغنياء والمتوسطين . وقد تجد في الناس من يغضي عن لعب الغني لان في خسارتهِ توزيع مالهِ على المجتمع ولكنك لا تجد احداً يحبذ لعب الفقير ويعدّي عنهُ

خطر لبعضهم ان يجرّب شراء اوراق اليانصيب ليختبر بنفسهِ ولع الجمهور بها ثم يبدي [illegible] كما شرب الكاتب الانكليزي دكونسي الافيون ليرى فعلهُ فيهِ . ولكن الفرق بين الاثنين ان دكونسي لم يستطع الرجوع الى حالتهِ الطبيعية بل بقي يدمن الافيون الى آخر عمرهِ [illegible] فاشترى ما اشترى من اوراق اليانصيب ثم انقطع عن الشراء وساعدهُ على ذلك [illegible] موي لا تملكهُ العادات . وقد قصّ عليّ ما جرى لهُ قال :

« بقيت ثلاثة اشهر [illegible] نحوها اشتري اوراق اليانصيب فربحت مرتين او ثلاثاً ولكن ربحي ضاع في خسارتي كما ترى في الجدول الذي كتبتهُ ولو وجدتني في آخر المدة رابحاً

ربحاً كبيراً ما استمرت على هذه التجارة الشائنة فكيف واذ خاسرٌ ذلك لان غرضي الحكمة واختبار الحالة التي يكون فيها اللاعب المقامر لعلّي في تحليلها وتشريحها واذاعة دخائلها مساعداً على ابطالها . اما الجدول فهذا هو

مشترى اوراق اليانصيب

غرش	التاريخ
٩	في ١٩ سبتمبر سنة ...
٤	في ٢٠ »
١	في ٢١ »
٩	» ٢٢ »
٩	» ٢٣ » (ربحت النمرة ٢٨٧٦٩ منصورة مبلغ ٨٠ غرشاً منها غرش للصراف فالباقي ٧٩ غرشاً)
٥	في ٢٥ »
٩	في ٢٦ »
٤٦	من ٧٩ فالربح الباقي ٣٣ لغاية ٢٦ سبتمبر
٧	في ٢٧ » (ربحت النمرة ٢٤٠٥٢ اسماعيلية مبلغ ٤٠ غرشاً منها غرش للصراف فالربح الصافي لغاية ٢٧ سبتمبر ٦٥)
٥٣	
٧ ١/٢	في ٢٨ »
١٠ ١/٢	» ٢٩ »
١٢ ١/٢	» ٣٠ »
٨٢ ١/٢	

فالربح الصافي لغاية سبتمبر ٣٥ غرش . وبقيت اشتري في شهر اكتوبر عدداً معلوماً يزيد او ينقص كل يوم فربحت في ٢٦ منهُ نصف « اسلام اسكندرية » واورقة الرابحة ٤٥٥٣ . ولكني قومت مركزي في آخره فوجدت الخسارة الصافية قد بلغت ١٣٩ غرشاً

وفي نوفمبر عاد الرجاء بعد اليأس فربحت نصف النمرة ١٣١٨ من اليانصيب الاسماعيلية فتوسمت بهذا الخالع خيراً ولكن انقضى نوفمبر وخسارتي ٨١ غرشاً تضاف الى ٣٩ . فمجموع

الخسارة ٢٢٠ غرشاً ودام شرائي للاوراق شهر ديسمبر بطوله وفي آخره صفيت مركزي فاذا الخسارة ٨٥ غرشاً فالخسارة الكلية في نحو ثلاثة اشهر ونصف ٣٠٥ غروش فقط اي بمتوسط جنيه في الشهر . ولو اتصدت هذا الجنيه لاجتمع عندي في السنة ١٢ جنيهاً . وهذا المبلغ يكفي لتأمين حياتي في احدى شركات التأمين مدة ٢٠ سنة على مبلغ نحو ٣٠٠ جنيه تدفع الى عائلتي اذا متّ قبل انقضاء تلك المدة او تدفع اليّ اذا بقيت حياً . او لو كان قصدي محض البر لوهبت الجمعيات الخيرية هذا المبلغ لدفع بعض نفقاتها متهً فيكون للفقير سهم اوفر من صدقاتها

ولما دخلت السنة الجديدة هجرت الشراء شاكراً الله على ما منحني من قوة الارادة وامتلاك هوى النفس وراثياً لحال من تمكنت العادات السيئة من حرم قوة الارادة ولاسيما عادة المقامرة فانها اشد العادات رسوخاً في الطبع لانها تصادف هوًى فيه وتربة صالحة لزكائها لما تقدم من ان الميل الى القمار او اكتساب الرزق بلا تعب ولا عناء ملكة متأصلة في جميع النفوس على السواء » انتهى

والمقامرون كثير والخرافات لا يشترون الاوراق اعتباطاً بل يسترشدون بامور كثيرة . فهم يقبلون على الورقة الاخيرة اعتقاداً بانها الرابحة لانها التي رفضها الشارون فلذلك تسمع الباعة ينادون « الورقة الفاضلة — ما فيش غيرها » . يقولون ذلك ترغيباً لانك لو تشتهر لوجدت غير الورقة التي ينادون عليها ومنهم من لا يشتري الا أنصافاً . ومنهم من يطيل في نقد النمر وفرزها وانتقائها ثم يختار نمراً معينة فلا يشتري ما كان فيه صفر او اصفار او لا يشتري ما كان فيه رقمين او ثلاثة لانه ما كانت النمر ذوات الارقام الاربعة او الخمسة اكثر عدداً من ذوات الاثنين او الثلاثة فيجعل الصدفة فيها اوسع . ومنهم من لا يشتري النمرة التي فيها ارقام متكررة كان يفضل مثلاً النمرة ٢٤٣٩٥ على النمرة ٣٣٥٩٩ . على انك لو راجعت النمر التي ربحها مخبري وهي ثلاث في نحو ١٠٠ يوم لوجدت بينها واحدة ذات صفر وثانية ذات رقم متكرر

وتراهم يكثرون الشكوى من عدم الربح . قال لي واحد منهم لقد مضت عليّ ١٥ سنة وانا اشتري اوراق اليانصيب بمرتين كل يوم فلم اربح سوى مرة واحدة وكان ربحي جائزة صغيرة . ولكني ارى شكواهم في غير محلها لان الجمعية كثيراً ما لا تبيع كل اوراقها فتكون المصلحة الكبرى وبدلي صاحبة المزية الكبرى والجان الاوسع في ميدان الصدفة . فشكواهم والحالة هذه غير معقولة . يتمنى حامل ورقة من ٢٠ الفاً مثلاً ان يكون الرابح دون

غيره ممن يحمل اربعاً او خمساً او عشراً او عشرين وليس في هذا القمني من حرج الاَّ اذا جاوز حدهُ فالقلب شكوى من الخسارة . ثم اذا لو كان خروج ورقته في السحب يرشحهُ لامر لا يحبهُ كأن يكون ذلك الامر قرعة عسكرية او قتلاً او نفياً او ما اشبه من الرزايا أكان يشكو اذا لم تخرج نمرتهُ . ولكن الانسان من طبعهِ عاقل فيها يدفع الغرم عنهُ جاهل فيما يجلب الغنم لهُ فلذلك لا يشكو الذي يخرج من المعركة سليماً ويشكو الذي لا يربح في اليانصيب . فيقول الاول مثلاً ان اناجبين الف قتل منهم مئة فلا بدع بموجب ناموس الصدفة اذا أكنت انا بين التسع مئة الناجين لا بين المئة المقتولين وحجتهُ هذه صحيحة . ويقول الثاني اني سكود الحظ عاثر الجد والاَّ لربحت . وقولهُ هذا في غير محلهِ اذ لو طبق على نفسهِ ناموس الصدفة المشار اليهِ ما وجد مجالاً للشكوى بل لوجد ان حامل الورقتين احق بالربح منهُ ضعفين وحامل العشر احق بالربح عشرة اضعاف وهكذا على نسبة التفاوت في المنكبة . واذا حقت الشكوى فلمن يحمل العدد الاكبر من الاوراق ولا يربح . فقد عرفت رجلاً يملك الفي سند من سندات البنك العقاري القديمة اشتراها من نحو ٢٥ سنة ولم يربح الجائزة الكبرى مرة بل ربح احدى الجوائز الصغرى فقط في تلك المدة الطويلة كلها . وعرفت اثنين ربحا الجائزة الكبرى ولم يكن احدهما يملك سوى خمسة سندات والآخر سوى سند واحد . وخبرت ثالثاً اشترى ثلاثة سندات مما يباع في قارعة الطريق فربح واحد ٤٠٠٠ جنيه وثان ٤٠ جنيهاً ولعل صاحبنا الثالث لانهُ لم يربح . وترى الواحد مما ممن يملك بضعة سندات تبلغ شكواهُ العنان في آخر كل سحب لانهُ لم يربح فيندب سوء بختهِ ويطيل في عتاب دهره ويكثر من سوء الظن في غير محلهِ

ربما يزيد اللاعب اندفاعاً في لعبهِ ريثما من حين الى آخر ورؤيتهُ فلاناً يربح الجائزة الكبرى فيندفع في الشراء على امل ان يربح الجائزة الكبرى ويبالغ في اندفاعهِ وهو مغيظ من عناد دهرهِ وحظهِ كأنهُ يريد مقابلة عنادهما بمثلهِ . ولو عقل وسأل فلاناً الذي رآهُ رابحاً الجائزة الكبيرة ظاهراً ان يسوغ ما حسره على مر الايام

على انني أرى انهُ ان لم يكن من حالة اليانصيب الحاضرة بدٌّ فخير للجمعيات الخيرية ولمشتري اوراقها ولجميع الناس ان تنشر في الصحف اسم رابح الجائزة الكبرى سواء كانت هي او غيرها فان ذلك ابقى للقيل والقال واقطع لألسنة العذال وادعى الى خلو البال

نجيب شاهين

داء المفاصل وسببهُ

شاع اسم المكروب حتى بين العامة لكنهم تصوروهُ على غير حقيقتهِ فلا يندر ان تسمع الواحد منهم يقول لك انهُ رأى مكروبًا اكبر من الفارة وقد يحسب أن دود القطن من المكروبات . وهذا خطأٌ في حقيقتهِ لان المكروب اسم لانواع من الاحياء الصغيرة التي لا ترى بالعين لصغرها وقد لا ترى بالمكرسكوب الذي يكبر صورة الجسم الوفًا من المرات ولكنهُ صواب في دلالتهِ على الاحياء الصغيرة الضارة وان كان اكثر المكروبات نافعًا غير ضارّ

وقد ثبت الآن أن السبب الاصلي لجانب كبير من الامراض والاوبئة هو انواع خاصة من المكروبات فللطاعون مكروب خاص بهِ وللكوزا مكروب خاص بها وللتيفويد مكروب وللبثرة الخبيثة مكروب ولذات الرئة مكروب وهلمَّ جرًّا . ومن الادواء التي اتضح انها ناتجة عن سمّ مكروبي داء المفاصل او الروماتزم باشكالهِ المختلفة التي تقع في الغالب تحت نوعين نوع حاد يتولد سريعًا ويقضي مدتهُ ويزول في بضعة اسابيع ونوع مزمن يأتي بطيئًا ويدوم اشهرًا وسنين . ويدخل في باب الروماتزم الحمّى الروماتزمية التي تفاجئ المرء بحرارة شديدة فيصيبهُ صداع شديد والم في ظهرهِ ويكثر عرقهُ فوق ما يصيبهُ من الم المفاصل وتورُّمها ويدوم الحال على هذا المنوال اسبوعين الى ثلاثة ثم تزول الحمّى وسائر الاعراض المرافقة لها ولكنها تترك المصاب متكسّرًا كأن عظامهُ دُقَّت في هاون

ولا يظهران داء المفاصل من الادواء المعدية ولا رأى الباحثون مكروبًا لهُ في مفاصل المصاب بهِ ولا في دمهِ لكنهم اعتقدوا ان لهُ مكروبًا مثل غيرهِ ولو لم يروهُ . وهذا هو الواقع غير ان المكروب المسبب لهُ موجود فعلًا لكنهُ لا يدخل المفاصل مباشرة ولا هو خاصٌّ بهِ . واول ما عُرف ذلك في الذين يعتريهم التهاب شديد في مفاصلهم على اثر قرحة زهرية فاذا زالت القرحة زال الالتهاب ايضًا . ثم ظهر ان ثلاثة اربع الذين يصابون بالتهاب في المفاصل وتورم فيها يكونون قد اصيبوا منذ اسبوع الى ثلاثة بزكام شديد في الراس او بتقرح في الحلق او بجرح داخل اينما كان موضعهُ او نحو ذلك من الآفات . فقد يأتي التهاب المفاصل على اثر الزكام او على اثر التهاب اللوزتين او الدفتيريا او ذات الرئة او القرمزية او التيفويد او الدوسنطاريا او التدرن كأنَّ كل آفة من هذه الآفات تمدّ الجسم للروماتزم . فكيف ينتج عن هذه الآفات المختلفة نتيجة واحدة وهي التهاب المفاصل مع ان لكل آفة منها مكروبًا خاصًّا بها

وبعد بحث دقيق وتجارب كثيرة ظهر ان بعض المصابين بداء المفاصل المزمن يكونون مصابين ايضاً بآفة في اسنانهم كخراج في اللثة او في مفرز اللسن او بكرب في اللهاة نقطة متقيحة او يخرج من انوفهم مادة منتنة . واذا شفي مكان القيح ونظف وعولج بمزيلات الفساد زال التهاب المفاصل ايضاً . وعليهِ فالميكروب الذي يسبب فساد الجروح و يكوّن القيح في الدمامل والخراجات والبثور هو الذي يسبب التهاب المفاصل فان سمهُ ينفث في الدم فيجري معهُ الى المفاصل ويتجمع فيها فتلتهب . وقد مضى الآن ست سنوات على هذا الاكتشاف وكان رأي الاطباء مصاباً بالروماتزم المفصلي فتشوا عن بؤرة في جسمهِ يجدون فيها قيحاً فيزيلونهُ وقد وجدوا بؤر القيح هذه في ثلاثة ارباع الذين فحصوهم وكان الروماتزم يزول او يخف بازالة سببهِ . واكثر هذه البؤر يكون في الفم والانف والحلق . ولعلَّ الذي يكون منها في مغارز الاسنان اكثر شيوعاً من غيرهِ . اي ان داء المفاصل حادث في الغالب من آفة في الاسنان من خراج صغير فيهِ مادة . فاذا بقي الخراج مقفلاً انصبت مدتهُ وبعض ميكروباتها في الدم وجرت معهُ الى المفاصل وهناك تجد ما يعوقها عن الجريان فتقف وتأثر المفاصل بها فتلتهب كأنها تحاول محاربتها لقتلها والحرب لا تقوم الاَّ بعمل شاق تعملهُ خلايا الجسم فتتولَّد منهُ حرارة شديدة . فاذا شفي الخراج حتى نزفت المدة منهُ زال ضررهُ هذا

والآن صار الاطباء يبادرون الى فحص الفم والانف والحلق كلما رأوا احداً مصاباً بالروماتزم واستنبطوا مصابيح كهربائية صغيرة جداً يدخلونها في ادق التجاويف ويفحصونها بنورها وقد يدخلون معها مرايا صغيرة تنعكس عنها صورة الخراج اذا تعذَّر على العين رؤيتها مباشرةً . وقد تكون المدة داخل العظام فترى باشعة رنتجن اي بتصوير الجسم كلهِ من جهات مختلفة بهذه الاشعة فيرى بها مكان القيح داخل الجسم او داخل العظام

والخراجات والقروح التي تسبب داء المفاصل لا تنحصر في الفم والانف والحلق بل قد تكون في المعدة والامعاء وفي كل مكان في الجسم يدخلهُ ميكروب الفساد ويعيش فيهِ . ويقال ان نظافة الجسم واوجب الاشياء لتنقية الدم من سمّ الميكروب الفساد التي تدخل الجسم او تلتصق بهِ وبالتالي الى تقليل داء المفاصل

اما نحن فنرجح انهُ لو بحث الاطباء بحثاً استقرائياً مدققاً لوجدوا ان داء المفاصل اكثر انتشاراً بين الذين يكثر اعتمادهم على النظافة و يقلُّ تعرُّضهم للجروح والبثور منهُ بين الذين لا ينظفون وجوههم ولا ايديهم ولا ابدانهم يمشون حفاة بين الاشواك والادغال ويخرطون القتاد باكفهم ولو تجرحت اصابعهم وقلَّ تخمر ابدانهم من الخراجات والبثور واذ خدشت واحمرَّت

بضعف فكثيراً ما يلجأون الى الكي أو الخلال لكي يكون في اجسامهم بثرة صناعية تنزفيها. وهم يداوون مواشيهم بالخلال كما انسوا منها تشبثاً في مفاصلها. فاما ان الخراج المفتوح ينفع ولا يضر اذا ان خلايا الدم السليم لتغلب على كل مكروبات الفساد و تميتها مهما كانت

حيل المتمارضين

يتذرع كثيرون من المرضى بمرضهم للكسب وتحصيل الرزق. وقد يكون مرضهم عادياً لا يخشى عليهم منهُ ولكنهم يتظاهرون باشتداد وطأتهِ عليهم. او يكون لوباً تعتريهم في اوقات متباعدة فيقربون ما بينها استدراراً لاكف البر. عرفنا رجلاً اجنبياً في هذه العاصمة أصيب منذ ٢٠ سنة وهو شاب بشيء من الشلل تركهُ في ارتجاف اشبه بالرعشة في يد الاشل. فاستأجر غلاماً يتوكأ عليهِ وجعل يدور على القهوات والمجتمعات العامة يستعطي فلا يكاد مسئول يردهُ لان هيئتهُ كانت تستنزل الشفقة من اجمى القلوب واجفاها وتستخرج الزلبق من كف البخيل. وهو لا يزال الى الآن على العهد القديم يدور على القهوات ولكن الناس سئموهُ بل منهم من تحدثهُ النفس بصفعهِ ولعنهِ اعتقاداً بانهُ اصبح غنياً عن السؤال لما اجتمع عندهُ من المال وبأنَّ ما يبدو عليهِ الآن من الاهتزاز والاضطراب انما هو مصطنع كاذب

ورأينا فتى قد انطرح على باب كنيسة والناس خارجون من الصلاة وجعل يرغي ويزبد ويشنج تشنج المصروعين ثم انتهت نوبتهُ باسرع مما تنتهي نوبة المصروع عادة فجعل الناس يتغوثونهُ بما جادت بهِ نفوسهم وقد عرفنا فيما بعد انهُ مصاب بالصرع حقيقة ولكنهُ كثيراً ما يتظاهر بهِ في مثل الحادثة المتقدمة تكدّياً ويقصّر النوبة عمداً فلا يفوتهُ احسان المحسنين

وما يقال عن الناس عامة يقال عن الجنود خاصة فان منهم من يتمارض حتى في زمان السلم هرباً من الخدمة العسكرية. وقد يبلغ خوف الخدمة العسكرية من بعض الناس في بعض البلاد ان كان الواحد منهم يفقأ احدى عينيهِ او يقطع سبابة يمناهُ تخلصاً من الخدمة. ومنهم من يتظاهر بالطرش ولكن يكشف امرهُ ببلادتهِ وذكاء ضابطهِ. فقد زعموا ان جندياً ادعى الطرش فاطلقوا وراءهُ بندقية فلم يهتز للصوت ولا ظهرت عليهِ علامة ما تدلُّ على انهُ سمعهُ فلما رأى الضابط المنوط بتجربتهِ ذلك منهُ امرهُ بصوت مخفض ان ينصرف

وما كاد يهمّ بالانصراف حتى قبض عليه واستيق الى الخدمة مكرهاً واتضح فيما بعد ان ليس به طرش البتة . وادعى آخر شلل احد ساعديه بحادث جرى له فسأله الضابط الى اي حدّ كنت تستطيع رفع ساعدك قبل هذا الحادث فرفعهُ على غير انتباه واتضح امرهُ

ومن اكثر الحيل شيوعاً بين الجند للفرار من الخدمة العسكرية فرك اللسان ببعض المواد فيتكون على سطحهِ فروة اشبه بفروة لسان المريض . ومنها دقّ مرفق اليد بالجدار فيسرع النبض

فهذه الحيل والوسائل وامثالها قد لا تجرّ ضرراً في زمان السلم فلذلك يعدّون عنها في بعض الجيوش ولا يأخذون صاحبها بالشدة خلافاً للبعض الآخر . اما في زمان الحرب فلا تجد من يتساهل فيها ويغضي عن صاحبها بل الكلّ يعاقبونهُ بالشدة . يزاولون به شديد العقاب

ولا ريب ان الباعث الاول الذي يحمل الجندي على طلب الفرار من الخدمة العسكرية انما هو الجبن الصرف وخوف التلف . على ان بين الجنود قوماً شديدي الاحساس ذوي امزجة عصبية سريعة الانفعال او في عقولهم شذوذ تجعلهم يظنون ان الوسائل التي يستخدمونها لتشويه هيئتهم وتخريب صحتهم اهون مراساً من هيئة الخنادق والاستهداف لنار الاعداء . ومهما يكن من ذلك كلهِ فان مجموع الذين يلجأون الى الخداع نفوراً من الخدمة العسكرية لا يزيد على عشرات في الملايين الاّ اذا كان الغرض حمل الجنود على محاربة الذين يأبون محاربتهم

ولا بأس هنا بوصف بعض الطرق التي استخدمها الجنود في حروبهم المختلفة لتقليد الامراض المختلفة . ففي الجيش الفرنسوي قلّد جنود بعض الاورط الافريقية مرض اليرقان فكانوا يضعون شيئاً من الخامض البكريك في ورقة سجارة لا يزيد على ٢ سنتجراماً ويبتلعون الورقة فتصفرّ وجوههم اصفرار وجه المصاب باليرقان ويستريح امهال وصداع دقي ويبطئ نبضهم . ولكنهم لا يصابون بالاعراض التي يصاب بها المريض باليرقان حقيقة اخصها الحمّى والأكلان . ثم ان فحص البول لا يترك مجالاً لشبهة البتة

ومنهم من قلّد الدمامل بحقن الجلد بالتربنتين او الغازولين . فمن احسن التقليد نجا من الخدمة ومن لم يحسنهُ افضى الحقن به الى مضاعفات اضطرت الى بتر العضو المحقون . وكان الجرّاحون يهتدون الى اكتشاف الخداع بامور عديدة منها مركز الدمّل فان الجندي كان يختار لحقن الجلد فوق الركبة على الدوام فتظهر عليها دمامل مصحوبة بحمّى والتهاب والم وهي الاعراض الرئيسة ولكن الالم كان يكون على الغالب اقلّ من المعتاد وكثيراً ما كان

معدوماً . ومن الامور التي كان الجراحون يفرقون بها بين الدمامل الصحيحة والدمامل الكاذبة عدم التهاب العقد العصبية في الكاذبة وخروج مُدّة كثيرة عند رخز الدمامل بالمبضع تختلف عن مدة الدمامل الحقيقية في احتوائها على نسيج ميت بالتغرير بنا وفي خلوّها من المكروبات وفي رائحة المدة عند استخراجها وهي رائحة السائل الذي حقن الجلد به

ومنهم من قلّد الحمرة بان فرك وجههُ وعنقهُ ببعض المواد الحرّيفة التي تسبب بثوراً ونفاطاً في الجلد تلوح كأثر الحمرة وقد يخدع بها الطبيب لاول نظرة ولكن الفحص يكشف الحقيقة

ومنهم من قلّد مرض يربط بادخال الزلال الى المثانة . والتهاب الغدة النكفية بتهييج قناة الاذن ولكن الذين فعلوا ذلك قلائل لصعوبته ومهولة غيره بالنسبة اليه

و يدخل في حيل المتمارضين حيل المتباكين فان الصغار اذا ساءهم امر او اهينوا اهانة خفيفة لم تثر ثائر دمعهم لصغرها عمدوا الى التظاهر بغير ذلك لتجسيم الاهانة فاستعانوا بريقهم لتبليل مجرى دموعهم اذا خانتهم الدموع . ومن الناس من يعصبهِ الدمع في بكاء المبت ومشاركة الباكين فيجدق في الاشياء التي امامهُ وهذا التحديق يهيج العينين فتغرورقان بالدمع . ولكن الناس عرفوا كيف يفرقون بين الباكي والمتباكي من قديم الزمان فقال الشاعر العربي

اذا اشتبهت دموع في عيون تبيَّن من بكى ممن تباكى

ويقال ان بعض عرب البادية يذرّون الفلفل او ما اشبههُ من المواد الحرّيفة في عيون الجياد اذا مات فارسها وكان عميد قومهِ و يدورون بها حول نعشهِ فتدمع عيونها وتلوح كأنها تبكي عليهِ وما بها بكاء على انهم لو يذروا الفلفل في عيونها لما استبد عليها ان تبكي من نفسها اذ الانسان ليس وحدهُ الحيوان الباكي ولا هو وحدهُ الحيوان الضاحك كما زعم اهل المنطق

ومن هذا القبيل حيل صبية المدارس للتخلص من دروسهم فانهُ لما كانت المدارس كابوس احلامهم وعون يقظتهم في الدور الذي يكون فيهِ اللعب واللهو غاية غاياتهم فلا بدع اذا استنبطوا غرائب الحيل فراراً من الدرس ولو كان في تلك الحيل ضرر بهم فقد عرفنا صغاراً يجعلون حليب التين قبل نضجهِ في عيونهم فتلتهب اجفانها ويغيبون عن المدرسة وبذلك تقضي لبانتهم ولو كان في قضائها الالم المبرّح لهم . ورأينا اولاداً يرضضون احد اعضائهم او يضيعون عمداً احذيتهم او كتبهم لكي يغيبوا من المدرسة ولو يوماً او بعض يوم حسبان انها سجن لهم وهم لم يجنوا اثماً يستحق السجن

اشتداد الضيق بالمانيا

(بقلم مكاتب المقتطم الحربي)

جاء في بلاغ رسمي فرنسوي ان قوات العدو كانت في اول دسمبر الماضي موزعة في الميادين الاوربية كما يأتي

الميدان الغربي	١٢٣	فرقة
الميدان الروسي	١٠٦	فرق
الميدان الروماني	٠٢٩	فرقة
ميدان مكدونية	٠١٢	فرقة
الميدان الايطالي	٣٢	فرقة
المجموع	٣٠٢	فرقتان

وهذه الفرق مؤلفة من ٢٠٢ من الفرق الالمانية و ٨٠ فرقة نمسوية و ١٢ فرقة بلغارية وثماني فرق عثمانية . ويقدر ان للعدو في ميادين القتال في اسيا وافريقية ١٥ فرقة عثمانية ناقصة عن العدد المقرر . وهذه الارقام ذات شأن لانها تؤيد ما سبقنا فاوردناهُ من ان اعداءنا استنفدوا وسعهم كلهُ ولم يبقَ في طاقتهم تأليف قوات او وحدات جديدة

وكان القتال في اول دسمبر الماضي محتدماً في الميدان الروماني وميدان مكدونية فقط ومع ذلك قرّ قرار الاعداء على التجنيد العام في المانيا وتأليف جيش بولندي وشرعوا في نقل الاهالي غير الحاربين من الاملاك التي هم محتلون لها الى المانيا لتسخيرهم في الاعمال الحربية . ويستنتج من ذلك ان هندنبرج الشهير بجيوشهِ بقوات مرصوصة وضع في بوتقة الحرب كل ما تيسر لهُ من الموارد . وهو اذا كان قد استعار بعض الفرق العثمانية ليحارب بها في الميادين الاوربية فما ذلك الاَّ لانهُ لم يبقَ لديهِ احتياطي عام يعتمد عليهِ رغم ما تبجح بهِ امبراطور المانيا من ان عندهُ دائماً ٣٠ فرقة من الاحتياطي يسيرها اينما شاء ويقذفها حيثما يريد . ولكن الايام نقضت دعواهُ مرة اخرى لانهُ لو كان عندهُ ثلاثون فرقة احتياطية كما زعم وسيرها على رومانيا لاسفر ظهورها في الميدان الروماني عن نتيجة شفيعة الشأن جدًّا

وطفا تيارها على الرومانيين بفرقهم جرفاً . ولكن بدلاً من ذلك رأينا ان الالمان لم يتمكنوا الاَّ من ارسال احدى عشرة فرقة جمعوها بشق النفس من جيوشهم في سائر الميادين . وهذا الامر يدعونا الى الايقان بان الحرب الرومانية استنزفت آخر ما كان عند الالمان من الاحتياطي الحربي اللازم لخطط القيادة

وقد بدئ بتنفيذ قانون التجنيد العام في المانيا في اول نوفمبر الماضي وبات الشبان الالمان الذين في سن السابعة عشرة والثامنة عشرة في آخر دور من ادوار التدريب العسكري في حين ان الشبان الذين هم في هذه السن في بلدان الحلفاء لا يزالون في الدور الاول منهُ . وذلك لانهُ شرع في تمرين الشبان الالمان على الحركات العسكرية منذ سنة ١٩١٤ وهم لا يزالون في المدارس وحتى ارسلوا الى الفشلاقات لم يبقَ لاتمام تدريبهم سوى الحاقهم بالوحدات النظامية ولكن صبرهم على احتمال مشاق الحرب اذا قذفوا الى اتونها بهذه السرعة العظيمة مشكوك فيهِ ولما كان للحلفاء رجال اكثر من هؤلاء الشبان عدداً واشدمنهم نسرعة تدريبهم ذات شأن من الوجهة النسبية فقط . ومهما يكن من الامر فانهُ ليس للالمان رجال جدد يعتمدون عليهم في خوض غمار الحرب هذا العام سوى هؤلاء الشبان وهم غير كافين للغرض ولا وافين بالمرام كائناً ما كان ذلك مكاتب لجريدة « التيد » الهولندية من كوتون في رسالة نشرتها هذه الجريدة في ١٤ نوفمبر الماضي وقال فيها ما يلي

« ظهر في الوقت الذي يستمر فيهِ الدفاع عن خطوط يزيد طولها زيادة مطردة خطر جديد ربما كان اشد الاخطار شأناً وهو اولاً نقص الرجال وثانياً عدم كفاية المصنوع من المهمات الحربية . ومع ان الالمان تنبهوا الى مسألة المهمات ووفوها حقها بانشاء مصانع حربية كبيرة وتحويل الصناعة التجارية الى صناعة حربية فان المصنوع من هذه المهمات بعد هذه الزيادة لم يفِ بالحاجة منذ ابتدأت معارك السوم اما من جهة الطيران فان الحلفاء سيَّروا علينا جيوشاً عظيمة جداً من الطيارين ونحن مضطرون الى مقابلتهم بامثل فاذا تم ذلك دارت في الجو حرب لم تخطر على بال احد حتى في المنام . ثم ان سد النقص في صفوف الجيش يقتضي مئات الالوف من الجنود الجدد ولذلك حاولنا تسييج المولدين وتجنيد البلجيكيين غير ان محاولتنا هذه لم تسفر عن نتيجة تحقق الآمال التي عقدناها عليها فالشعب الالماني بافضل عقد الصلح اليوم على ان نؤدي غداً » . اما سائر ما ورد في رسالة هذا المكاتب فذرٌّ للرماد في العيون وضروب من التهديد والوعيد لا طائل تحتها

فاعتراف هذا المكاتب يدل على انهُ كان مطلعاً على حقيقة الحال عالماً بما لم يبح بما تقدم في ١٤ نوفمبر الماضي وقد جاء طلب المانيا للصلح الآن مزكياً لقولهِ وموَيداً لهُ ولكن هيئة اركان الحرب الالمانية العامة توهمت في تلك الاثناء انها مزقت شمل رومانيا واخمدت انفاسها فاصدرت مذكرتها المشهورة بان الحلفاء لم يستطيعوا تغيير الحال ولن يستطيعوهُ بدليل انهم لم يتقدموا في ميدان من ميادين القتال بل بالعكس اكرهوا على التقهقر في رومانيا. غير ان هيئة اركان الحرب التي قالت هذا القول تعض اصابعها ندماً الآن على اندفاعها الى اقصى اضحاء اوربا لتزيد خطوط قتالها طولاً واتساعاً . ودوائر المانيا الرسمية تركب متن الخطأ والشطط باستخدامها مثل هذه القصص والاحاديث التي يرتد شرها اليها ويعود بالضرر عليها حتى بين قومها فان النتائج التي احرزها الحلفاء في اسيا وافريقية لا يغضي عنها ولا بد من ادخالها في الحساب لانها مدركة محسوسة ويكفي للدلالة على شأنها انها انزلت الراية الالمانية في هاتين القارتين وسلبت المانيا كل ما كان لها فيهما من المستعمرات علاوة على ان نطاق الحصر لا يزال مضروباً على اعدائنا في البر والبحر كما كان في اول الامر . وتضييقنا الخناق عليهم على هذا الوجه كاف وحدهُ لاذلالهم . ثم ان تقدم الروس والفرنسويين والبريطانيين والايطاليين في ميادينهم المختلفة وفي ميدان مكدونية ايضاً دليل مع انهُ لم يأت بنتائج فاصلة على ان الحلفاء كانوا يكسرون العدو في كل مكان يهاجمونهُ فيهِ مهاجمة شديدة من غير ان يعكس الامر

اما الخطأ الاكبر في الاكاذيب الالمانية فهو تشبثهم بقولهم ان الواجب على الحلفاء ان يتقدموا في ميادين القتال حتى يقهروهم ولكن قولهم هذا بعيد عن الحقيقة بل هو مثبت لحجتنا بدليل طلبهم للصلح في ١٢ دسمبر الماضي لما لم يكونوا قد عرفوا بالتجربة والاختبار ان مشروع التجنيد العام سيفشل . ولا نظن ان احداً من الناس يصدق ان الالمان الذين مهروا في التوحش واقتراف الفظائع وحذقوها يطلبون الصلح بدلاً من ان يكرهوا اعداءهم على قبولهِ بالشروط التي يشترطونها عليهم لو لم يكونوا قد شعروا بانهم منكسرون . واذا راجعنا سير الحرب في ذلك التاريخ (١٢ دسمبر) لم نرَ انهُ حدث فيهِ حادث حربي ذو شأن عظيم ولا نال احد الفريقين المتحاربين الفضل في حرب رومانيا الاَّ اذا كان قد ثبت للعدو حينئذٍ انهُ حرم الانتفاع من موارد الحبوب والزيت في ولاخيا اما فيما سوى ذلك فانهُ لم يكن يظهر من الخارج ما يدل على ان المانيا في حالة يأس شديدة كهذه

ومع انهُ لا يزال في وسع المانيا ان تضرب ضربات شديدة فالواضح انها في حاجة الى الصلح لانها تعلم ان التجنيد العام لا يجنبها من النكبة التي ستحل بها اخيراً علاوة على ان المجاعة صارت على ابواب بلادها

واول الاسباب التي ستؤدي الى سقوط المانيا وانكسارها هو حاجتها الى الرجال . فقد ابان « جورنال دز كونوميست » في عددهِ الذي صدر في شهر مارس سنة ١٩١٥ من المستندات والاحصاءات الالمانية ان المانيا نفسها قدَّرت في اول شهر دسمبر سنة ١٩١٤ عدد الرجال في بلادها باربعة عشر مليوناً و ٧٣٥٢٦ رجلاً بين سن الثامنة عشرة والخامسة والاربعين وهذا العدد يشمل جميع السكان الذكور بين هاتين السنتين يطرح منهُ الاعداد المبينة فيما يلي وهي

اولاً الرجال الذين رفضتهم المجالس الطبية قبل تجنيدهم وعددهم ٩٨٥ ، ١٤٣ (١)

ثانياً الخسارة في الرجال الذين لم يعودوا اكفاء للحرب بين سن الثامنة عشرة والخامسة والاربعين بسبب الامراض وما أُصيبوا بهِ من الاصابات قضاء وقدراً الى غير ذلك من الاسباب وهذه الخسارة تبلغ ثلاثة ملايين و ٨٧١ ٥٥٧ رجلاً يضاف اليهم الذين رفضوا من الخدمة طبياً كما تقدم وعددهم ٩٨٥ ١٤٣ رجلاً فيكون المجموع كلهُ اربعة ملايين و ٥٤٣ ، ١٤ رجلاً

فيظهر مما تقدم انهُ كان عند المانيا في شهر دسمبر سنة ١٩١٤ للصفوف او الاسنان الثاني والعشرين التي تشتمل عليها الخدمة العسكرية اربعة عشر مليوناً و ٧٣٥٢٦ رجلاً يطرح منهم المرفوضون طبياً والخسارة بالامراض والاصابات ومجموعهم اربعة ملايين و ٥٤٣ ، ١٤ كما تقدم فيكون الباقي تسعة ملايين و ٥٣٠ الف رجل بين الثامنة عشرة والخمسة والاربعين يصلحون لحمل السلاح . يضاف اليهم الصف الذي بلغ سن الثامنة عشرة في شهر دسمبر سنة ١٩١٥ وبلغ عددهُ نحو ٦ ، ٠٠٠ ، ٠٠٠ رجل فيكون المجموع عشرة ملايين و ٢٤٣ الف رجل . وهذا كل من كان عند المانيا من الرجال لما صدر الامر بالتجنيد العام في اول شهر نوفمبر الماضي ولكن الحكومة الالمانية تعترف بان خسارة جيوشها الحاربة بلغت حتى ٣١

(١) وقد اعيد فحص هؤلاء المرفوضين طبياً الاث مرات وكان يؤخذ منهم جنود للخدمة في كل مرة . ويصعب تقدير عددهم بالدقة والضبط ولكن لا ريب في انهم لا يصلحون للخدمة في ساحات القتال بوجه من الوجوه

اكتوبر الماضي ثلاثة ملايين و٩٤٢ الف جندي اي ان اعظم قوة بلغها الجيش الالماني في ذلك التاريخ كان عشرة ملايين و ٤٢ الف جندي يطرح منهم الخسارة في ساحات الحرب بحسب القوائم الالمانية الرسمية وقدرها ثلاثة ملايين و ٩٤٢ الف جندي فيكون الباقي ستة ملايين ومئتي الف جندي . ولكن لا يعقل ان جميع هذا العدد من الرجال الصالحين للخدمة العسكرية هو تحت السلاح لانهُ لو كان الامر كذلك لبطلت الاعمال في بلاد المانيا

هذا فيما يتعلق بقوة المانيا قبل التجنيد العام ولنبحث الآن في النتائج المباشرة التي يمكن ان يسفر هذا التجنيد عنها من زيادة قوة المانيا فانهُ قد يزيدها الى ٤٤ صفًّا منهم صفان من الغلمان احدهم من سن السابعة عشرة والآخر من سن الثامنة عشرة وثلاثة عشر صفًّا فوق سن الخامسة والاربعين وهؤلاء لا يصلحون الا لخطوط المواصلات والحاميات

واذا حسبنا الخسارة في هذه الصفوف رأينا ان عدد الصفوف التسعة التي بين سن الخامسة والاربعين والرابعة والخمسين لم يكن في اول ديسمبر الماضي بحسب تقدير المصادر الالمانية نفسها اكثر من ٦٧٨ الف رجل وان عدد الصفوف الستة الاخيرة لا يزيد على ٤٥٠ الفًا وان عدد الصفين من الشبان الذين في سن السابعة عشرة والثامنة عشرة (صفي سنتي ١٩١٨ و ١٩١٩) لا يزيد على مليون على الاكثر لان جانبًا كبيرًا من رجال هذين الصفين الحديثي السن يرفضون لضعف بنيتهم فيكون مجموع الرجال الصالحين للخدمة العسكرية في المانيا بين سن السابعة عشرة والستين في اول ديسمبر الماضي كما يأتي

٦٢٠٠٠٠٠	الباقون من الجيوش المحاربة حتى اول نوفمبر
٦٨٠٠٠٠٠	الرجال الذين بين سن ٤٦ و ٥٤
٤٥٠٠٠٠٠	» » » » ٥٥ و ٦٠
١٠٠٠٠٠٠	الشبان الذين في سن ١٧ و ١٨
٨٣٣٠٠٠٠	المجموع

فاذا سلمنا جدلاً بان في الميادين الالمانية اقل عدد ممكن من الجنود المحاربين وهو ثلاثة ملايين جندي فقط بقي من الملايين الثمانية المذكورة آنفًا خمسة ملايين و٣٣٠ الف جندي تطرح منهم الاعداد التالية وهي

٠٥٠٠٠٠	بحارة الاسطول
١٥٠٠٠٠	حاميات الحصون وحراس الاسرى
٢٥٠٠٠٠	حاميات خطوط المواصلات والاراضي المحتلة
١٥٠٠٠٠٠	الاسلحة الملحقة بالجيوش في خط قتال طوله اكثر من الفي كيلو متر
٤٠٠٠٠٠	المصالح العمومية مثل سكة الحديد والتلغراف والجارك والبوليس وسواها)
١٠٠٠٠٠٠	العمال في مصانع السلاح والذخيرة
٣٠٠٠٠٠٠	خسارة الرجال في شهري نوفمبر ودسمبر
٣٧٥٠٠٠٠	المجموع

فاذا طرح هذا المجموع من الاحتياطي الالماني الاخير وهو خمسة ملايين و ٣٣٠ الف جندي بقي منهُ مليون و٥٨٠ الفاً بين سن السابعة عشرة والستين وهو آخر ما يكون باقياً عند المانيا من الاحتياطي العام في الرجال الى اول هذا العام

وسيعمد الى هذا الاحتياطي ابتداء من العام الحالي لسد النقص الذي يقع في صفوف الجيوش المحاربة بمتوسط ١٥٠ الفاً في الشهر وتشغيلهِ في المرافق الضرورية للحياة العمومية كالادارة والتجارة والصناعة والزراعة وسواها وهي امور لا يستطيع الجرحى وغير الصالحين للخدمة العسكرية القيام بها وحدهم من غير مساعدة

ومما تجب الاشارة اليهِ ايضاً ان في المليون ونصف المليون من الرجال الذين يؤلفون آخر احتياطي عند المانيا جانباً كبيراً من الذين جازوا الخامسة والاربعين وهؤلاء لا يصلحون للقتال في ساحات الحرب طبعاً

وقد ظهر في هذا العام ان المانيا لم تستطع زرع ما في بلادها من الاراضي حتى باستخدامها اسرى الحرب وهذا يحدو بنا الى الامل بان الجوع ولاسيما الحاجة الى الرجال سيعيلانها النصر قبل حلول فصل الحصاد الثاني [illegible] كما ذكرناهُ غير مرة ودعوة «ان الواجب على الحلفاء ان يشمروا عن ساعد الجدّ والاجتهاد ويعجلوا في القضاء على هذا المتوسط من الالمان في الشهر ويضيقوا نطاق الحصر عليهم ويزيدوهُ شدة واحكاماً»

ففي ما تقدم بيانات موجز للاسباب التي تحمل المانيا على الرغبة في الصلح وتفصيل للاسلوب الذي يريح فيهِ الحلفاء الحرب حتى لو لم يتقدموا في ميادين القتال علاوة على ان لدى الحلفاء وسائل أخرى لتقريب أجل النصر وتدنيهِ منهم ترجمت في ادارة المقطم

مصر منذ اربعمائة سنة

(عثرت بعد البحث والتنقيب الدقيق على رحلات قديمة لبعض السياح الافرنج الذين زاروا مصر في القرون المتوسطة وكتبوا عنها الاسفار المطولة مما لم يرد ذكر كثير من اخباره في كتب مؤرخي العرب . فآثرت نشر خلاصة هذه الرحلات في هذه المقالة الاولى . ثم اتبعها بما كتب السياح عن مصر واحكامها وسلاطينها وغرائبها وتجارتها وما جرى فيها من الحوادث والاتفاقات والمعاهدات بين سلاطين مصر وملوك الافرنج وعن تنقلاتهم وسفرائهم ومعاهداتهم السياسية والتجارية مما لم يُنشر في الكتب العربية)

***

توترت العلاقات السلمية بين مصر وبلاد الافرنج منذ القرن الثالث عشر بعد ان تغلب توران شاه على الملك لويس التاسع في المنصورة واخذه اسيراً ثم قام خلفاؤه من بعده السلطان بيبرس والملك المنصور قلاوون والملك الاشرف خليل سنة ١٢٩٠ وطردوا الصليبيين من كل البلاد السورية حتى ان الملك الناصر محمداً طرد كل التجار الافرنج وقناصلهم من سورية ومصر سنة ١٣٤٠ . فانقطعت العلائق بين مصر واوربا انقطاعاً تاماً ولم يعد احد من الافرنج يجرأ على المجيء الى مصر للتجارة او للسلطين لزيارة الاماكن المقدسة فيها . الاَّ انهُ من حين الى آخر كان يتسلل بعض الافرنج خفية طمعاً في الاتجار او رغبة في السياحة والاستطلاع

وقد دخل الى مصر من السياح الافرنج بين اواسط القرن الرابع عشر والقرن السابع عشر نحو تسعين سائحاً واكثرهم فرنسويون وايطاليون وبنادقة واسبانيون وجنويون وجرمان وكلهم كتبوا رحلاتهم في اسفار مطولة او موجزة محفوظة في مكاتب اوربا وذكروا فيها عن احوال مصر واحكامها وملوكها وتجارتها وعوائد اهلها وعن حوادث خصوصية جرت فيها في هذه القرون المتأخرة مما لم يكتبهُ احد من مؤرخي العرب . وسنأتي هنا على اهم السياحات واشهرها

(١) اشهر الرحلات القديمة

في اواسط القرن الرابع عشر حضر الى مصر ثلاثة سياح ورحلاتهم لها المنزلة الاولى عند المؤرخين اولها رحلة سائح المانيّ يدعى اوتّو نيانهوسن مشهور باسم غليوم بلودانسل من البلاء زار جبل سيناء ومصر واقام فيها بضعة اشهر وذكر آثارها ومتاجرها واحكامها

وفنادقها (١) وقال ان اكثر هذه الفنادق من السرايات القديمة المرصوفة بالرخام والنقوش الجميلة والفسيفساء البديعة . وقال ان التجار الافرنج يتاجرون في مصر الحجارة الثمينة كاللؤلؤ والياقوت وخشب الابنوس والصندل والعاج وعطر البلسم واللبان والبهارات التي ترد من الهند ويرسلونها الى اسواق اوربا عن طريق البندقية (فينيسيا) . وقال ايضاً ان المماليك الذين في خدمة السلطان بالقلعة والمنغرقين في البلاد يبلغ عددهم ستة آلاف مملوك . وقد تمكن هذا السائح الالماني بفطنته من مقابلة السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ١٣٣٢ مقابلة خصوصية . فسأله السلطان عن احوال ممالك الافرنج وقواتهم الحربية واحكامهم القضائية وتجارتهم وانتقد عوائدهم وعدم وفائهم بالعهود والذمم انتقاداً مرًّا . واوضح لهُ ايضاً انهُ ارسل بعض التجار عن نفقتهِ الى اوربا وشحن معهم كثيراً من اصناف التجارة من حجارة ثمينة ومسك وبلسم وعنبر وعطر وبهارات وامرهم ان يطوفوا في اسواق البلاد ويدققوا في البحث سرًّا عن احوال ممالك اوربا . وعند رجوعهم ذكروا لهُ كل ما رأوهُ وعلموا بهِ من اختلافاتهم السياسية والدينية الخ . وقال هذا السائح ان عند السلطان الناصر اربع تراجمة يتكلمون جيداً باللغات الاوربية حتى ان السلطان نفسهُ يحسن التكلم باللغة الفرنسوية . واما كتب هذا السائح واسفاره فطبعت في ثلاثة مجلدات سنة ١٥٢٩ بالمانيا

وبعد عشر سنين حضر سائح المماني اخر من كولونيا يدعى الشفالير رودلف فرامتسبرج ولم تكن سياحتهُ التي كتبها بذات اهمية . ثم حضر سائح ايطالي يدعى نيكولو دا كورمبزو وزار مصر وغزة وجبل سيناء وبلاد فلسطين . وكتب عن دمياط ورشيد وتجارتها كتابات مطولة لا تخلو من الاهمية والفائدة

وفي سنة ١٣٨٤ حضر الى مصر ستة سياح وكلهم ايطاليون من فلورنسا الا ان اشهرهم فرسكو بالدي وجيورجيو غوشي ومسيكولي ورحلاتهم يعتمد عليها لاهميتها التاريخية والجغرافية . فوصف فرسكو بالدي ما عانوهُ مع رفقائهِ من المضايقة عند وصولهم الى الاسكندرية اذ لم يسمح لهم نائب السلطان ان ينزلوا الى البر فتداخل قنصل فرنسا في حمايتهم وكان يصحبهم بعض التجار البندقة وانزلوا فاخذت بضائعهم الى المكس وبعد الثمين دفعوا عنها عشرة بالمائة عيناً . ورسبت عليهم الضريبة الشخصية التي في حقائبهم وجيوبهم واخذ منها اثنان في المائة . وقال ان قنصل فرنسا في الاسكندرية يحسن التكلم باللغة العربية وانهُ

(١) الفنق الافرنجي في القرون الوسطى كلمة « الفندق » على وكالات تجارهم وبيوت قناصلهم ومخازنهم ومنازل اصيافهم واجتماعاتهم وعلى بيوت تراجمة السلاطين لقبول الزوار من الافرنج

محبوب من الحاكم ومتزوج بفتاة قبطية . وان سبب تضييق المصريين على الاجانب ما فعلهُ ملك قبرص بطرس دي لوزينيان فانهُ هجم ببراكبهِ على ميناء الاسكندرية ونهب بعض المراكب المصرية . فغضب السلطان وامر بالقبض على كل الافرنج في الاسكندرية ودمياط وحجز ممتلكاتهم . ومن ذلك الوقت امر بتحصين الميناء والطوابي . وانهُ يبلغ تعداد اهالي الاسكندرية نحو ستين الفاً اكثرهم مسلمون وبينهم عدد ليس بقليل من اليهود والمسيحيين الوطنيين . وان نائب السلطان برقوق يقطن في قصر ثم وتحت امرهِ كثيرون من الجنود الترك والتتر والسوريين . ووصف مقابلة هؤلاء السياح والتجار والزوار للحاكم المذكور بواسطة فنصل فرنسا فقال :

« دخلنا البهو العظيم وهو مفروش بالسجاجيد الفاخرة فخطونا اخذيتنا كما أُمرنا ودخلنا حفاةً . وكان الحاكم متربعاً في صدر المكان على « طراحة » عالية حولها المساند وكلها من الدمقس المنسوج بالذهب وبين يديهِ جمع من الضباط والقواد والمماليك بالثياب المزركشة . وكانت جدران البهو مجللة بالكشمير الفاخر . فتقدمنا حفاة الى ان وصلنا الى طنفسة زرقاء بديعة الصنع على احد بضع خطوات من مجلس الحاكم فجثونا وقبلنا الارض ورفعنا أيدينا ووضعناها على شفاهنا وجباهنا . وكررنا ذلك ثلاث مرات الى ان قربنا من النائب فوقفنا خاشعين . فنظر الينا وبدأ يتفرس في كل واحدنا وسألنا عن احوال بلادنا وملوكنا ودقق في السؤال عن ملك فرنسا وبابا رومية . وعند خروجنا من لدنهُ اطلق سبيلنا وسمح لنا بالتفرج على المدينة وزيارة كنائسها ومشاهدها » . ثم وصف الاسكندرية وصفاً مدققاً . ولما اراد السياح والتجار والزوار السفر الى مصر ارسلهم الحاكم صحبة احد قواده ولما وصلوا الى القاهرة سلمهم القائد الى ترجمان السلطان الاول وكان فلورنسي الاصل تدين بالاسلام وتقيد بخدمة السلطان برقوق

ثم وصف قصر السلطان ومماليكهُ واحوال المدينة وطرقها وشوارعها وجمالها وحميرها واسواقها وشوائعها وصفاً مطولاً . وزعم ان السلطان برقوق كان نصرانياً رومياً واسلم[1] وقال ان بجانب قصر السلطان دكان جوهري مملآن من الجواهر الكريمة النادرة من لؤلؤ

(١) يظهر ان المقريزي من هذا القرابي فقال ان سيف الدين برقوق الملقب بالملك الظاهر كان ابوهُ من بلاد الشركس واسمهُ انس فوهب ابنهُ وهو صغير وبيع فاشتراهُ الامير اينبا وجعلهُ بين مماليكهِ . ثم نقلت عنهُ الاحوال الى ان ولاهُ الخليفة المتوكل على الله سلطنة مصر سنة ١٣٨٢ بلقب السلطان ابو سعيد الملك الظاهر

وزمرد وفيروز وياقوت احمر واصفر وان بعض تلك الجواهر ذات حجم كبير لا تقدر قيمتها بثمن . ووصف نقود مصر فقال ان الذهب منها تدعى دنانير والنقود الذهبية التي ضربت باسم الخليفة تدعى شريفية والفضية دراهم . واما النقود النحاس فتدعى فلوساً وكل اثني عشر فلساً بدانق . ووصف كنيسة كان بناها الافرنج بين مصر القديمة والقاهرة استولى عليها الارمن بعد خروج الافرنج من مصر وقال ان قد دفنت فيها زوجة ليون السادس ملك قبرص حينما كان زوجها اسيراً عند سلطان مصر

واما سياحة سيكولي فليست بانل اهمية من تلك . فوصف السلطان برقوق بقوله « هو في الخامسة والاربعين من عمره صاحب همة شماء وحزم سديد وعزم شديد وعنده في القلعة ستة آلاف مملوك كلهم يلبسون ويأكلون على نفقته . يرى لابساً على الدوام ثياباً فاخرة زاهية ثمينة من الحرير الاصفر . ويبدلها في اليوم ثلاث مرات . واذا خلعها فلا يعود يلبسها ثانية بل يفرقها على مماليكه وقواده وبطانته . وعنده اربع زوجات وسراري كثيرات فلا تخرج الواحدة منهن الا وعلى اثرها كثير من الجواري والخصيان لحراستها . والسلطان كثير الشغف بالصيد والقنص يقصد في بعض الفصول مكاناً يدعى سرياقوس على بعد عشرين ميلاً من القاهرة عند دير للاقباط مستصحباً عدداً عظيماً من الفرسان والمماليك والخدم والحشم والقواد واصحاب الاعلام ما يبلغ عددهم نحو مائة الف وبينهم حفظة الاسلحة وحملة طيور الصيد والجوارح والبواشق . فتنصب له هناك الخيام والمضارب وكلها مفروشة باثمن الرياش والطنافس الا انه لا يعلم احد في اية خيمة ينام السلطان سوى خدمه الاخصاء . وهذه المضارب تشبه مدينة مستقلة على كثرتها وبينها خيام الوزراء والوف من خيام الباعة وتجار السلع »

وذكر انه في مدة سياحته بمصر جاءت السلطان هدايا كثيرة ثمينة من نائبه في دمشق مؤلفة من اكياس نقود ومصوغات وحلى ذهبية وجواهر ثمينة وخيول مظهمة مسرجة بالذهب وحلل فاخرة منسوجة بخيوط الذهب والفضة واسلحة دمشقية . وهذه الهدايا مرسلة من دمشق على مائة جمل البست الجوخ المطرز بالقصب قسمت خمسة اقسام كل عشرين جملاً منها البست جوخاً بلون واحد بين ابيض واحمر وازرق واصفر واخضر . وكل جمال ارتدى ثوباً مطرزاً بالقصب من لون جل جمله . فعند وصول هذه الهدايا الى مصر كان السلطان في موسم صيده بسرياقوس فامر ان يؤتى بها الى هناك ولما وصلت وزع ما فيها من الاقمشة والنقود والذهب على قواده ومماليكه وابقى لنفسه المفروشات والاسلحة . ووصف

سيكولي هذا السلطان بالعدل والحزم وان كل البلاد المصرية والسورية التي كانت خاضعة لحكمه وسطوته ، وطدة الامن والعدالة وهيبة السلطنة عامة الجميع حتى ان المسافر يسير ليلاً من بلد الى اخر ولو في القفار آمناً مطمئناً فلا يعترضهُ احد ولو كان مثقلاً بالمال

وبعد عشر سنين حضر الى مصر سائح فرنسوي يدعى البارون انجلور فزار الاديرة والجوامع وكان عند رجوعهِ من الصعيد ان اللصوص هجموا عليهِ وعلى رفقائهِ بالقرب من مصر القديمة فجرحوهُ جرحاً مميتاً وسلبوا امتعتهم ونقودهم

وفي القرن الخامس عشر كان في مقدمة السياح الافرنج جيلبرت دي لانواي فكتب تقارير ورحلات في غاية الاهمية عن مصر وسورية وزار الاسكندرية ورشيداً ودمياط ووصفها وصفاً مطولاً

وفي سنة ١٤٢٦ زار مصر السائح الاسباني الشهير بترو تافور فرَّ اولاً بقبرص ونزل ضيفاً عند نسيبهِ الاميرال سوارس وهذا عرفهُ بانكرديتال شقيق جانوس ملك قبرص . وقد رأى هذا الملك ووزراؤهُ ان يبعثوا بالسائح المذكور سفيراً او رسولاً الى بيبرس سلطان مصر لكي يسمح للملك ان يبيع الملح الذي يستخرجهُ من ملاحات قبرص في ثغور البلاد السورية مقابل خراج يدفعهُ في كل عام الى السلطنة المصرية . وان يأمر السلطان باستدعاء نائبهِ من قبرص الموكل بقبض الخراج السنوي فيرسلهُ رأساً في كل سنة الى الاسكندرية مع وفد مخصوص . فسافر تافور مزوداً بالكتب والاوامر في مركب ملوكي من نيقوسيا الى ثغر دمياط ولما وصل الى هناك أبلغ حاكمها مهمتهُ فارسل هذا رسولاً الى السلطان بيبرس بمصر واعلمهُ بوصول سفير من ملك قبرص فامر السلطان ان يؤذن لهُ في الحضور الى القاهرة ولما وصل الى ميناء بولاق استقبلهُ من قبل السلطان ترجمانهُ الاول وهو يهودي اشبيلي المنشأ انتحل الاسلام . ثم وصف هذا السائح او السفير مقابلتهُ للسلطان ونجاحهُ في مأموريتهِ

وفي اواخر القرن الخامس عشر حضر الى مصر سائحان المانيان وهما برنارد برندنبرج من كولونيا والثاني راهب دومينيكي من ألم اسمهُ فليكس فابر . والاثنان صحبا اميرين المانيين فالاول صحب الكونت سولم والثاني صحب البرنس جان دي والدنبرج فرنهر . ولهذين السائحين تقارير واسفار مطولة عن مصر وسوريا وفلسطين في غاية الاهمية والدقة والامانة في النقل وكلها طبعت في المانيا على اثر رجوعهما الى بلادهما سنة ١٤٧٩ . وكان الامير الالماني جان فرنهر زار مع اتباعهِ وحاشيتهِ ورفاقهِ الزوار والتجار بلاد فلسطين ثم اجتازوا الصحراء الى جبل

سيناء ووصلوا الى مصر عن طريق السويس . ووصف السائح فليكس فابر الذي صحب هذا الامير ما لاقوهُ في طريقهم من المتاعب والمشقات واعتداء العربان . ولما وصلوا الى بلدة المطرية زاروا عين العذراء والشجرة وكان بالقرب من هناك قصر فخم وحديقة كبيرة للسلطان فيها انواع من شجر البلسم والبلسان . ووصف هذا السائح وغيرهُ من السياح القدماء عطر البلسم وقالوا انهُ من تجارة مصر المهمة يستخرج منهُ في كل سنة كمية عظيمة ترسل الى اسواق اوربا وتباع باثمان غالية . واكثر اشجار البلسم والبلسان في بساتين السلطان بالمطرية وعين شمس[1] ولما وصل الامير واتباعهُ الى هناك استقبلهم مملوك من قبل السلطان واوصلهم الى مصر وسلمهم الى ترجمان السلطان الاول وهو مشهور بين كتّاب اوربا ومؤرخيها بتانفربارديي وكان يهودياً اسبانياً ومن ارباب الدين . ولكي يتخلص من الاضطهاد في اسبانيا انتحل الديانة المسيحية ثم فر من بلادهِ وحضر الى مصر وانتحل الاسلام واتصل بسلاطين مصر فجعلوهُ ترجماناً وكان ذا نفوذ وسطوة وعلى جانب عظيم من الدهاء والمكر . وترجمان السلطان في ذلك العهد كان لهُ النفوذ الاول ومن اخص المقربين للسلطان واليهِ يعهد في مفاوضة القناصل واستقبال السفراء الاجانب وحراستهم والاهتمام بهم وكل من اتى الى مصر من السياح والزوار والتجار فكانوا ينزلون في فندقهِ وهو قصر عظيم من قصور السلاطين فكان هذا الترجمان يبتز الاموال من التجار الافرنج والسياح . وفندقهُ يسع مئات من النزلاء والضيوف وكان كلما وصل الى مصر وفود السياح او الزوار والقناصل والسفراء يأمر السلطان ترجمانهُ هذا ان يتولى شؤونهم وان يكونوا تحت رعايتهِ وحراستهِ . وقد استعمل هذا الرجل كل وسائل الغش والخداع مع الامير واتباعهِ وصحبهِ من التجار والزوار الفرنسويين والايطاليين والبنادقة والالمان . ومرة فاجأهم وهم يصلون ولم يدعهم يتممون ذبيحة القداس الاّ بعد ان دفعوا لهُ مبلغاً طائلاً من المال . وبينما كانوا مرةً في الصلاة دخلت عليهم امرأة متشحة بالبياض وعلى وجهها قناع ابيض فذعروا خوفاً الاّ انهم رأوها سجدت

---

(١) وقال السائح نوردن سنة ١٧٥١ ان سلطان مصر يستخرج في كل عام كمية كبيرة من عطر البلسم ويرسلهُ ضمن حقوق من فضة وذهب هدايا الى الترك العظيم (اي سلطان تركيا) والى ملك الحبشة والى شاه العجم والى بعض ملوك اوربا

وقال سائح آخر سنة ١٦٣٥ ان هذا البلسم لم يبقَ منهُ سوى بعض شجيرات في حديقة المطرية ولما حضر المسيو ماليت قنصل فرنسا الرابع عشر ملك فرنسا الى مصر سنة ١٦٩٠ قال ان هذا النوع انقرض من مصر كلها

امام المذبح وتبين لهم بعد ذلك انها ابنة احد امراء الافرنج اسرت من قرصان المغرب واحضرت الى مصر وبيعت في سوق الجواري فاشتراها هذا الترجمان . ووجد السياح في سجن الفندق كثيرين من الاسرى الافرنج المقيدين بالسلاسل . وقد عهد السلطان الى هذا الترجمان في حراستهم والعناية بهم.

ثم وصف فليكس فابر السائح المذكور سراي هذا الترجمان فقال ان قاعاتها كلها ملأى بالذخائر والامتعة النفيسة والاسطحة الثمينة والافشة والمفروشات الفاخرة . وقد زار الامير الالماني مع اتباعه وضخم مدة اقامتهم بمصر فصل البندقية فاحتفى بهم وعانقهم فرحاً ثم دعاهم للطعام على مائدته . وأراهم في « فندقه » مكاناً سرياً فيه كأس من ذهب وابقونات وبدلات كهنوتية لاقامة القداس سرّاً ودعاهم لحضور متى شاؤا . ثم شكا كثيراً للامير الالماني من مواطنيه التجار الالمان الذين يأبون قبول اكياس البهارات من التجار البندقة ما لم تكن نظيفة منقاة مع انهم يرغمون على شتراها من التجار المصريين بلا تنقية كما وردت من الهند حتى انهم لا يسمحون لهم ان يفتحوا الاكياس وتفقد ما فيها [1]

ثم زار السياح المذكورون ابن ملك صقلية (فرديناند ملك نابولي) في قصره وكان ابوه هذا ارسله الى مصر في مهمة سياسية لدى سلطانها [2] ورأوا في حديقة قصره كثيراً من الحيوانات والطيور النادرة والغزلان

ثم زاروا قصر السلطان . قال السائح فابر « رأينا في قصر السلطان وعند ترجمانه تانغربارديي عدداً عظيماً من المماليك الاجانب (اسرى الحرب) اتخذوا الاسلام فاعتقهم

---

(١) اهم تجارة البندقة في ذلك العهد مع مصر كانت في انواع البهار والافاوية والتوابل من واردات الهند كالفلفل والقرفة والزنجبيل وحب الهان وجوز الطيب والقصفر والقارنفل واشجارة الكرى فكانوا يشترونها من التجار المصريين في مصر والاسكندرية او من وكلاء السلطان لانه كثيراً ما كان سلاطين مصر يتاجرون على حسابهم بهذه الاصناف ويرسلون مراكبهم الى بومباي وكنكوتا لتحضرها بالبضائع ويأتون بها الى السويس وهناك يبيعها السلطان للتجار صفقة واحدة . واما التجار البندقة فكانوا يشترونها ويحضرونها الى البندقية وهناك تقام سوق عامة في بعض الفصول فيقبل كل التجار من انحاء اوربا الى سوق البندقية ويشترون البضائع الهندية والمصرية ويأخذونها الى بلادهم (نقلاً عن سياحة نودو سنة ١٥١٢)

(٢) تزوج هذا الامير بابنة الدوق دي لوزينيان ملك قبرص السابق وكانت هذه الجزيرة من املاك مصر تدفع خراجاً سنوياً لسلطانها فارسل ملك نابولي ابنه الامير الى سلطان مصر ليقره على مملكة قبرص عوضاً عن ملكها جانوس ووعده ان يدفع الى سلطنة مصر خراجاً مضاعفاً فلبث هذا الامير مدة طويلة في مصر وقبل ان السلطان جعله في قصره كاحد مماليكه (نقلاً عن السائح نودو)

السلاطين وجعلوهم مماليك لهم ولامرائهم ولقوادهم ومعظمهم من الصقليين والاراغونيين والاسبانيين وبينهم نبيل الماني من مدينة بادن . وبين هؤلاء المماليك عدد عظيم من المجر اسرهم سلطان الترك وارسلهم الى مصر وبيعوا في اسواقها » . وقال فابر ايضاً في رحلته «رغب السلطان الاميران الكونت سولم والبرنس دي والدنبرج ان يتفرجا على اسواق مصر فارسل السلطان بعض مماليكه لمرافقتهما فادخلونا الى سوق العبيد والجواري فلما رآنا التجار الخاصون ظنوا أن السلطان ارسلنا الى هذه السوق ليبيعنا فتهافتوا مقبلين نحونا يتفرجون علينا ثم عرضوا على المماليك حراسنا مبلغاً طائلاً من المال لشرائنا. ذلك انهم ادركوا من حسن زينا وهيئاتنا اننا من كبار قومنا في بلادنا وان اهلنا وذوينا اذا عرفوا اننا اسرى لا بد ان يرسلوا المبالغ العظيمة لفكاكنا وهذا ما جعل هؤلاء التجاسين يتهافتون على شرائنا طمعاً بالمال . ورغب الامير سولم ان يشترى غلاماً اسود فلم يقبل مالكه ان يبيعه لاعتقاده انه لا يجوز ان يقتني المسيحيون العبيد والجواري . ثم اشترى الاميران بعض الاقمشة الحريرية الفاخرة .

واجاز لنا السلطان التفرج على كنائس مصر القديمة فاصحبنا الترجمان ببعض المماليك الفرسان واستأجر لنا الحمير فاجتزنا اولاً شارعاً طويلاً في آخره بوابة عظيمة من الحديد ثم وصلنا الى سوق مزدحمة بالناس فسدت علينا الطريق فاضطر المماليك ان يبعدوا عنا الناس باسواطهم فهاج غضب الشعب علينا وبدأوا يرشقوننا بالحجارة والوحول ويقذفوننا بالشتائم والمماليك يذبون عنا بحمية وكان بعض الناس يهجمون علينا ويلقوننا من على الحمير الى الارض والبعض يجرونا من ثيابنا . وهجم احدهم على البرنس والدنبرج وقبض على لحيته وهو يقذفه بالشتائم واللطمات ولم يزل المماليك يدافعون عنا حتى خرجنا من المدينة

وكنا كلما التقينا باحد من الناس راكباً او فارساً كان يترجل ويقف احتراماً لمماليك السلطان وانويل لمن لا يظهر الاحترام او يبين مملوكاً ولو بالاشارة فجزاؤه الشنق بدون محاكمة عظيم

ولما وصلنا الى مصر القديمة تفرجنا على كنائسها واثارها . وبعد يومين ذهبنا لزيارة الجوامع وتفرجنا على المدرسة قايتباي التي شادها وبنى فيها جامعاً ودفن فيه . وفي شهر اكتوبر سنة ١٤٨٥ رجعنا الى الاسكندرية وسافرنا الى بلادنا

ديتري نقولا

المفرقعات وفعلها

يموت في ميادين القتال الوف من غير ان يجرحوا او يخدشوا . وكثيراً ما يوجدون واقفين او جالسين مما يدل على ان موتهم كان فجائياً فلم يتركوا البتة عند لفظ الروح . وقد اختلف في سبب الموت هذا ولكن التعليل الوحيد الذي يمكن تعليله به هو انهم ماتوا بالعواقب التي تعقب ارتفاع ضغط الهواء فجأة بعد اشتداده . وهذه الحالة لها ما يشبهها بعض الشبه في المرض المعروف باسم مرض الاساطين ويسمونه ايضاً شلل الغواصين او مرض الاسراب لانه يصيب الغواصين الذين تضطرهم اعمالهم الى الغوص في الماء والاقامة تحته مدة طويلة وسط غرف صغيرة تصنع خصيصاً لذلك مثل الغواصين لصيد اللؤلؤ او لاستخراج الاسفنج او لاعمال متعلقة بعلم الاوقيانوس والحيوان والنبات . او يصيب الذين يقيمون في اسراب للبناء والحفر في الماء . فانهم بعد ان يقيموا مدة طويلة تحت ضغط جوي شديد ويصعدوا من الماء الى الجو المعتاد يصابون باعراض مختلفة من اعراض الفالج والشلل والصرع مثل الم الظهر والشلل النصفي العلوي او السفلي وحبس البول وعدم قدرة الجسم على ضبط حركاته وسكناته الى غير ذلك

اذا فتحت زجاجة شمبانيا رأيت فقاقيع الهواء تتصاعد منها بكثرة وتدفع السائل امامها فتتكون الرغوة المعروفة . ومثل ذلك يحدث في «السيفون» اي ان رفع الضغط فجأة عن السائل سواء كان الشمبانيا او ماء الصودا الذي في السيفون او البيرة المضغوطة يفضي الى خروج الغاز بسرعة من ذلك السائل . والرأي المشهور عند العلماء والاطباء الآن ان اطلاق المفرقعات يفضي اولاً الى ضغط هائل في الهواء ثم الى ارتفاع الضغط باسرع مما جاء فتتكون في الدم فقاقيع هواء تسبب موتاً فجائياً . ففي مرض الاساطين المذكور آنفاً تخرج الفقاقيع من الدم صغيرة وببطء لارتفاع الضغط ببطء فلا يموت المصاب بسكتة اذا ارتفع الضغط فجأة كما يجري في ميادين القتال عند انفجار المفرقعات كبرت الفقاقيع في دم الذين تعتريهم المرة وافضت الى توقف عمل القلب

ولنبحث الآن في ذلك الانفجار وكيفية حدوثه فنقول

يخطئ من يظن ان الانفجار ليس الا احتراق بعض المركبات الكيماوية بسرعة . فان الاحتراق الفجائي قد يكون انفجاراً ولكن ليس كل انفجار احتراقاً سريعاً فقط .

وكثير من المفرقعات تشتعل اشتعالاً بسيطاً اذا أُديت النار منها ولكنها اذا طرقت بمطرقة انفجرت انفجاراً هائلاً ومزقت كل ما يجاورها خذ البارود الاسود العادي مثلاً فانهُ ينفجر بالاحتراق السريع وقد كان انفجارهُ غريباً في بدء اختراعهِ ولكنهُ ليس الآن شيئاً مذكوراً بازاء المفرقعات التي اخترعت بعدهُ والتي تستخدم في هذه الحرب

وجميع المفرقعات يجب ان تكون محصورة لتكون فعّالة كما ان ضربة المطرقة لا تفعل الفعل المرسوم الاَّ اذا كان المضروب مستنداً الى شيء صلب كالسندان . فالبارود لا يؤثر تأثيراً يذكر اذا حرق في الهواء المطلق ولكن اذا حصر مزّق ما حولهُ كل ممزق كما يشاهد في نسف الصخور للبناء

والمفرقعات تفعل فعلاً واحداً في كل جهة لا في جهة معينة كما يتوهم البعض . والفرق بين البارود المشتعل في الهواء المطلق والديناميت الذي يتفرقع امامنا وهو غير محصور ان الاول باحتراقهِ البطيء يجد وقتاً كافياً ليدفع الهواء فيهِ بسرعة تكفي ليحل الغاز المتولد منهُ محل الهواء المدفوع ولكن الديناميت يتحول من جامد الى غاز بسرعة عظيمة لا يحتاج معها في حصرهِ الى اكثر من قوة الاستمرار التي للهواء . اي ان قوة استمرار الهواء على صغرها كافية لحصرهِ وتفرقعهِ فهي لهُ كالصخر للبارود . وقد وجد الفعلة بالاختبار ان القاء حفنة من الرمل على شيء من الديناميت وضع على سطح صخر لنسفهِ كافٍ لنسف ذلك الصخر اي ان حفنة الرمل كافية على خفتها وقلة ضغطها لتوجيه قوة الديناميت الى الجهة المقابلة حيث الصخر

ومن المفرقعات ما لا ينسف بنفسهِ ولا قدرة لهُ على زحزحة الاثقال من مكانها او تمزيق الاشياء اذا كانت بعيدة عنهُ بل كل ما يفعلهُ انهُ يطلق المفرقعات التي تراد لاحداث الانفجار وهذا النوع يسمى detonator اي الكبسول والفتيل والمفجر المواد للكبسول فلمات الزئبق وهي مركب من الحامض النتريك والزئبق و ٥٠ قمحة منهُ اعظم فعلاً من ٧ ضعفاً من النتروجليسرين المشهور

والمواد المستعملة فتيلاً تختلف في فعلها اختلافاً عظيماً فالبارود العادي ينفجر ويقذف المقذوفات بسرعة مترين او ثلاثة امتار في الثانية عادة وقد تزيد هذه السرعة الى ٣٠٠ متر في الثانية تحت اعظم الاحوال ملاءمة ولكن الفلمنات تقذف المقذوفات بسرعة ٨٠٠٠ متر في الثانية على القليل . ولادراك هذه السرعة نقول ان قطار الاكسبرس

الذي يقطع ٦٠ ميلاً في الساعة سرعتهُ نحو ٢٥ متراً في الثانية . ان اقل سرعة للمقذوفات بالفلنتات يساوي ٣٢ ضعف سرعة الاكسبرس المشار اليهِ . فمن ذلك يرى كيف ان ذرة من الفلنتات اذا انطلقت في يد حاملها قد تطير اصبعاً من اصابع يدهِ ولا تخرق ثوبهُ اذا مستهُ

وقوة المفرقعات سواء كانت احتراقاً او قذفاً للمقذوفات ناشئة عن تحول بعض المواد الكيماوية فجأة الى غاز ومحاولتها ان تخالف المبدأ الطبيعي المعروف وهو ان الطبيعة لا تسمح لجسمين بان يشغلا حيزاً واحداً في وقت واحد . فالانفجار وتمزق ذلك الحيز هما عاقبة هذه المخالفة . ولتفصيل ذلك نقول : ملأنا نقرة نقرناها في صخر بارود وسددناها سداً محكماً ثم اشعلنا الفتيل المتصل بالبارود . ففي اثناء تحول البارود غازاً يزداد حجمهُ فيصير وهو غاز ٤٠٠ ضعف ما كان وهو جامد ويحاول ان يشغل المكان الذي كان الجامد يشغلهُ وهذا مستحيل الا اذا كانت النقرة من المتانة بحيث تسمح بهِ وهي ليست كذلك فيمزق الغاز الصخر كل ممزق ليوسع لنفسهِ مكاناً فيهِ . واذا وضعنا مكان البارود ديناميتاً صار حجمهُ عند تحولهِ غازاً بالاحتراق ٨٤٧ ضعف ما كان . او وضعنا جلاتينتاً مما يستعمل للنسف صار ١٣٨٦ ضعف ما كان

وليست المسئلة كلها مسئلة تنازع جسمين محلاً واحداً في وقت واحد بل السرعة النسبية اللازمة لتغلب الواحد على الآخر او سرعة الانفجار وهي ما يسمونها القوة المحركة او الفعالة ويعبرون عنها بكذا كيلوغرامات وامتار في الثانية . فهي في البارود ٤٥٨٧ من القوة المحركة وفي الحامض البكريك . . . ٣٥٠٠ من القوة المحركة اي ان قدرة هذا الحامض على دفع كيلوغرامات معينة امتاراً معينة سيف الثانية هي نحو ٧٥ ضعف قدرة البارود على ذلك

وهذه المفرقعات كلها حديثة العهد . فمنذ ٦٠ سنة لم يكن يعرف سوى البارود الاسود . وفي هذه الحرب عندك البارود اللادخاني وقطن البارود والديناميت والميت واللديت وغيرها من المفرقعات الشديدة . فلو كان اقدم الانسان هذا في نصف قرن من الزمان

الاماني والاحلام

تلك الاماني يتركن الفتى ملكاً دون السماء ولم ترفع له راسا

ومن منا لم تُثِلْهُ الاماني مُلْكاً ومالاً ان لم يكن في الهواجس ففي الاحلام . والانسان يحلم في نهاره كما يحلم في ليله فتتمنّى اموراً كثيرة يعجز عن ادراكها ولكنهُ يردع نفسهُ عن المجاهرة بامانيهِ لئلاَّ يضحك الناس منهُ ولا يجاهر الاَّ بتمني ما يُحتَمل الحصول عليهِ لمن كان في منزلتهِ . وتكثر الاماني التي يكتمها المرء لانهُ يراها مما يستحيل الحصول عليهِ فتبقى ذكراها في نفسهِ وتعود الى مخيلتهِ آونةً بعد أُخرى فيهذُّ بها في اليقظة واما في النوم فالقيد الذي يقضي بكتمانها ويحول دون ظهورها يُكسر فيعيش المرء ليلاً في احلامهِ متقلباً بين امانيهِ المختلفة تتناوبهُ الواحدة بعد الاخرى وتتزاحم عليهِ ولذلك ذهب العالم فرود المسموي منذ بضع سنوات الى ان الاحلام اماني محفوظة آثارها في اعماق النفس فتتحكَّم فيها نهاراً فتخفيها ولكن سلطانها عليها يزول في النوم فتتغلَّب علينا . فنُسب هذا المذهب اليهِ

الاَّ ان المرء لا يستطيع ان يلجم لسانهُ دائماً في يقظتهِ حتى لا يبوح بما يكتُمُهُ ضميرهُ من اماني نفسهِ . وما اكثر فلتات اللسان التي تنبئُ عن حقيقة الانسان . قيل في امثالنا العامّة « خذوا اسرارهم من صغارهم » لان الصغار لا يستطيعون ان يلجموا السنتهم ويتظاهروا بما ليس فيهم كالكبار . وقد يحتال متسقِّطو الاخبار على المرء فيسكرونهُ أو ينوِّمونهُ النوم المغنطيسي ليكتشفوا اسرارهُ وهو سكران او نائم

وفلتات اللسان الدالَّة على ما يكتمُهُ الجنان كثيرة ولكن ابن الدهر يحفظ لسانهُ كما يحفظ مالهُ ولا يثِقُ لسان الحكيم عليهِ الاَّ اذا هاج او سكر او اصابهُ بحران فتعدم حصاة اللسان ويفشي المرء خبايا نفسهِ وما كتمهُ ضميرهُ . ولقد احسن من قال

وان لسان المرء ما لم تكن لهُ حصاة على عوراتهِ لدليلُ

وقد يكون هذا شأن المرء كلَّما اشتدَّ فتبدر منهُ بوادر ترثها من آبائهِ واجدادهِ . . اما في النوم حين تضعف القوة الحاكمة التي تمنع المرء من المجاهرة بامانيهِ فان هذه الاماني تقف امام ذهنهِ كلها — اماني الصبا واماني الشباب الآمال المخبوءة في العقل الباطن . ولا ينبغي ان نفكر بها حينئذٍ بالفاظ مسموعة او نعبّر عنها بكلمات ملفوظة بل يكفي ان نرمز اليها رمزاً فان لغة الرموز كانت قبل لغة الكلام فيحلم النائم انهُ جمع بدرات الدنانير بيديهِ اذا اشتهى الغنى في يقظته ويطير في الجو اذا لم يتمكن من ركوب المركبات على الارض

ولا يخفى ان الاحلام قلما تكون سلسلة منتظمة الحلقات بل الغالب ان تكون متقطعة لا اتصال بين اجزائها ولا ائتلاف بينها كأنَّ قوةً في النفس نزعت منها الحلقات التي تصل بينها ولكن احلام الصغار ليست كذلك بل هي في الغالب منسجمة متصلة فكيف تنزع الروابط من احلام الكبار حتى يزول ارتباطها بعضها ببعض

من رأي العالم فرود واتباعه ان في العقل رقيباً يرقب الافكار والآمال وينتزع منها ما لا يحسن اظهاره ويحفظهُ في مخادع النفس اي فيما سميناهُ بالعقل الباطن حيث لا نشعر بوجوده . وعندهم ان هذا الرقيب ديدبان واقف بين ما نشعر به وما لا نشعر به . وبنفي غيرهم وجود هذا الرقيب ويقولون ان بعض العادات او الغرائز يردع البعض الآخر ويمنعهُ من الظهور . وهذا اقرب الى العقل لان وجود الرقيب لا يقوم عليهِ دليل ولكن كون العادات تتناقض ويقمع بعضها البعض الآخر من الامور المحسوسة المتعارفة . فان الذين يربون في الفاقة وبين اناس لم يألفوا الرفاهة وآداب الطبقات العليا ثم يثرون او يرتقون ويتخلقون باخلاق اهل الرفاهة والوجاهة تحاول عاداتهم القديمة التي الفوها في صغرهم ان تظهر فيهم اونة بعد اخرى فتردعها الاخلاق الجديدة التي تخلقوا بها ويسهل ذلك عليهم ما داموا متيقظين منتبهين فاذا غفلوا بدت منهم اعمال توافق عاداتهم القديمة واذا ناموا فاكثر احلامهم يكون بحوادث السنين الغابرة حينما كانوا فقراء او بما يتعلق عليها

يحكى ان رجلاً من فقراء لبنان قصد البلاد الانكليزية فسكنها واثرى وتزوج فيها وتخلَّق باخلاق الراقين من اهلها وبعد نحو ثلاثين سنة عاد الى وطنهِ ومعهُ ابنة صبيَّة لهُ فرحَّب به اهل قريتهِ واولموا لهُ وليمة على عين ماء في جوار القرية فاكلوا وشربوا وطابت نفوسهم وجعلوا يغنون ويضربون على « الدربكة » على جاري عادتهم فثارت اشجان الرجل وتذكَّر ايامهُ السالفة حينما كان يغني غناءهم ويلعب لعبهم فتناول الدربكة منهم وجعل يقرع عليها ويغني ويرقص فخافت ابنتهُ وجعلت تناديهِ بالانكليزية وتقول father father وهو يقول بلا father بلا mother ويكرر الغناء العربي غناء اهالي لبنان . اي تغلبت عاداتهُ القديمة حينئذٍ على العادات الجديدة التي كانت تردعها قبلاً

ومتى تناقضت العادات تعذَّر على المرء ان يتابع المتناقضات في وقت واحد فيجاري الواحدة ويترك الاخرى فتكون النتيجة ان بعض عاداتهِ يردع البعض الآخر ويوقف عملهُ

وقد يضطر المرء ان يغير عاداتهِ ولو لم ينتقل من بلاد الى اخرى او من حال الى آخر

بل ان مجرّد التقدُّم في السن يدعو الى ترك بعض العادات والملكات الموروثة سواءٌ كانت طالحة او صالحة والى ترك اماني الصبا واماني الشباب . لكن ما يُترك من هذه الاماني وتلك العادات لا يمحي اثرهُ من النفس بل يبقى فيها ويستأنف ظهورهُ كلما غفل الرادع لهُ عنها . واشلة ذلك كثيرة جدًّا منها انهُ يرغب شاب في تعلُّم فن التصوير ليصير مصوراً لانهُ يرى في نفسهِ ميلاً اليهِ لكن والديهِ وذويهِ يرغبانهِ في تعلُّم علم الحقوق ليصير محامياً او قاضياً حاسبين ان ذلك اجدر بمقامهِ . فيترك التصوير ويتعلم الحقوق ولكن ما كان يرغب فيهِ في صباهُ يبقى في نفسهِ ولا يزول اثرهُ منهُ ولو شاخ فتراهُ جالساً على منصة القضاء يسمع ادلة الخصوم وقلمهُ يرسم على ما امامهُ من الورق رؤوساً وطيوراً وحشرات . وآخر يميل الى التزوج ولكنهُ يخاف من كثرة النفقة او يرى امهُ واخواتهِ يتفنَّنَ بيتهُ ويقمن بكل حاجاتهِ البيتية فيهمل ازدواج الى ان يكتهل ولكن ميل الصبا لا يزول كلهُ من نفسهِ بل يساورهُ مرة اخرى حتى لقد يتزوج وهو كهل . وآخر يتزوج رغبة في الزيجة فلا يرى من زوجتهِ ما يرضيهِ و يقع النفور بينهُ وبينها فيعكف على اعمالهِ و يغوص فيها حتى ينسى ما فعل اي انهُ يردع آمالهُ واماني صباهُ ولكنهُ قد يعود متى اكتهل ويصطلح مع زوجتهِ لالل سبب

والامثلة التي من هذا القبيل كثيرة جدًّا ومفادها واحد وهو ان اكثر الناس يضطرون ان يردعوا اماني الصبا واماني الشباب بل اماني الكهولة ولكن ما يردع منها لا يزول من النفس وغاية في الامر انهُ يتوقف عن الظهور ما دام الرادع لهُ قويًّا فعَّالاً فاذا ضعف هذا الرادع بالنوم بدت الاماني في صور الاحلام وقد يتخللها امور كثيرة تحدثها المؤثرات المختلفة التي تؤثر في النائم من اتصالهِ بفراشهِ ومن النور والظلمة وبجاري الهواء وما اشبه ثم اذا هو استيقظ فالغالب انهُ لا يتذكر الاَّ القليل مما حلمهُ

هذا تعليل آخر للاحلام ولما يبدو من الانسان اذا سكر او حشش او استهوي او اصابهُ الهجران فهذى وذكر اموراً حفظها في صغرهِ او طرقت اذنيهِ ولم ينتبه لها بل حفظت في عقلهِ الباطن . ومن هذا القبيل تكلم السكارى والحشاشين والمستهوين بالرموز لان لغة الرموز اقدم لغات البشر . طلبنا مرةً من فتاة عصبيَّة المزاج ان تضع يديها على البلنشت ليكتب اجوبة المسائل التي تطرحها عليها ولما كررنا عليها بعض المسائل اصابها نوع من الاستهواء الذاتي وجعلت تحرك البلنشت بيديها وتكتب بهِ وهي لا تدري وتجيب عن المسائل التي تطرح عليها اجوبة من نوع الرموز والكتابات او من الاقوال المأثورة التي حفظتها بمطالعاتها الكثيرة فاذا سُئلت هل يرتفع ثمن القطن بعد الآن اجابت « الاسعار

والاعمار بيد الله » . واذا سُئلت هل يباع القطن بالاسعار الحاضرة اجابت « عصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة » واذا سُئلت عن من صحة للخبر الفلاني اجابت « لا دخان بلا نار » اي كان قلم البلشت يكتب بالانكليزية ما هو بمعنى هذه العبارات . ولا يخفى انها كانت اذا التبهت لا تذكر انها كانت تحرك البلشت ولا انها كتبت ما كتبت

الفهد في الصيد

لا يزال ملوك الهند يربون الفهود ليصطادوا بها الغزلان كما كان يفعل ملوك الفرس والعرب

ومن عادتهم انهم اذا زارهم ضيف كريم وارادوا تسليتهُ خرجوا معهُ لصيد البر وهو الصيد الاكبر او لصيد الغزلان وهو اقل شأناً وقد يقيمون المنازل حيث يكثر الصيد يضمون فيها الافيال والفهود لهذه الغاية

كتب بعضهم في مجلة العالم الانكليزية قال كنت ذاهباً انا وصديقي فلان الى بلاد كشمير في اعالي السند فعرّجنا على جمّو قصبتها الشتوية اجابة لدعوة المهرجا وهي في السفح الغربي من جبال الهملايا على حد سهول البنجاب ومضينا الى المنزل الذي دعانا اليهِ لنخرج منهُ للصيد فوجدنا المهرجا غائباً لاشغال اقتضتها مهام بلادهِ لكنهُ اعدَّ لنا ما يلزم لراحتنا فاس أن نعطي فيلين وركوبنا اذا خرجنا لصيد البر . فوجدنا ان صيد البر في السهول ضرب من المحال لكثرة ما يقتضيهِ من الافيال والرجال فعدلنا عنهُ بعد ما حاولناهُ على غير جدوى وعزمنا على الرجوع الى طريقنا لكن الفهّاد اشار علينا ان نذهب معهُ لصيد الغزلان لان صيد البر لا يتيسر في غيبة المهرجا

والصيد بواسطة الفهود خاصٌّ بالفهّاد نفسهِ والذين يخرجون معهُ انما هم مشاهدون لاغير لكنهُ لا يخلو من التسلية ولاسيما اذا شاهدهُ الانسان اول مرةٍ ولم يكن معهُ اناس كثيرون ينفرون الطرائد و يقفون بينهُ و بين الفهود فلا يراها في تهيئها للصيد ووثوبها على طرائدها . وهذا هو الصيد الذي قُسم لنا ان نراهُ فلم نخرج اليهِ بافيال ولا بموكب كبير

قمنا في الصباح وخرجنا مع الفهّاد الى الجهة الغربية من جمّو ومعهُ فهدان فقط في مركبة تجرها الثيران وسرنا والسهول تنطوي امامنا الى ان شاهدنا الغزلان عن بُعد

القائد والفهداء على ظهر المركبة

مقتطف فبراير ١٩١٧

امام الصفحة ١٦٤

فصار علينا ان ندنو منها حتى نصير على نحو خمسين متراً الى مئتي متر والاَّ فلا سبيل للفهد ان يصل اليها . ويجب ان لا نأتيها من مهب الريح لئلاَّ تستروحنا وتنفر منا . والمكان الذي ذهبنا للصيد فيهِ كان حرَماً للهرجاً لا يجوز الصيد فيهِ بالرصاص فلم تكن غزلانهُ شديدة النفار

ومرَّت ساعتان والغزلان تنفر منا حالما تسمع صوت المركبة ولذلك يرسل امراء الهند الرجال لتزجرها وتضطرها الى الدنو من الفهود . ثم صعدنا الى ارض عالية واشتدت الريح فاخفت صوت المركبة وبعد هنيهة رأينا الفهدين تحفزا فصرَّت اذانهما وفتحت مناخرها وارتجف كفلاها فنزع القوَّاد الغطاء عن احدها وشدَّهُ على الثاني فزاد هذا اضطراباً حتى كاد يثب من المركبة لو لم يشدَّ القواد برباطهِ شدًّا عنيفاً فادرك انهُ غير مقصود للوثوب فسكَّن جاشهُ مكرهاً حرداً ورأينا حينئذٍ بضعة غزلان ابطلت الرعي وجعلت تنظر الينا نظر المرتاب حتى اذا وصلنا الى رأس الاكمة المقابلة لها نفرت كالنعام الجافل واطلقت اظلافها للريح وكانت المسافة بينها وبيننا اولاً اقل من خمسين يرداً . فرأى القواد ان يدعها تبعد اولاً ليزيد اهتمامنا بها وبينما نحن ننظر اليها مستغربين سمعنا خبط البراش على المركبة ورأينا الفهد مارقاً في الهواء كالسهم وفي لحظة من الزمان رأيناهُ على عاتق اكبر تلك الغزلان يعمل فيهِ انيابهُ ويراثهُ فلم نكد نصدِّق ما تراهُ عيوننا حتى كأنهُ من اعمال المشعوذين ولم يكن الاَّ كلا حول ولا حتى رأينا الغزال مطروحاً على الثرى لان الفهد ضربهُ على ساسلة ظهرهِ ضربة خطفت انفاسهُ ولما وصلنا اليهِ وجدناهُ قائماً فوقهُ يمزق رقبتهُ ليشرب دمهُ وهو غاية ما يتالهُ منهُ

واصطدنا غزلاناً اخرى ذلك اليوم ولكن صيد الغزال الاول كان ابهجها لاننا رأينا هُ في كل درجاتهِ من اولها الى آخرها . وظهر لنا ان الفهد امهر الحيوانات في مساورة صيدهِ كما انهُ اسرعها كرًّا فيختفي وراء الادغال والصخور ويدور ويلتفُّ الى ان يتمكن من اقتناص الطريدة اذا وثب عليها . ويحدث في بعض الاحيان ان يهجم فهد على غزال مواجهة والغزال خافض رأسهُ فيرفعهُ بفتة ويضربهُ بقرنيهِ فيوردهُ حتفهُ ويصح فيهِ قول النابغة الذبياني حيث قال

شكَّ الفريصة بالمدرى فانفذها شكَّ المبيطر اذ يشفي من العضدِ
كأنهُ خارجاً من جنبِ صفحتهِ سفّود شرْب نسوهُ عند مفتأدِ

وبعد ان قضينا لبانتنا من الصيد اردنا الفهاد ما هو اغرب من صيد الغزال الاوّل وهو اننا كنا على رأس اكمة وامامنا اكمة اخرى بعيدة عنا وبين الاكمتين وادٍ عميق فادرك بزكانته ان على سفح الاكمة المقابلة لنا غزلانًا ترعى ولم يكن في الامكان ان تنزل بالمركبة الى الوادي وتصعد بها الى الاكمة الاخرى وقال رفيقي وكان على معرفة تامّة بامر الصيد ان اغراء الفهد بالذهاب الى هناك ضرب من المحال . واراد الفهاد ان يرينا شيئًا لم نرَهُ من قبل فنزع الغطاء عن اكبر الفهدين وامسك رأسهُ بيديهِ واشار الى ذلك الموضع ففهم الفهد مرادهُ وهو لا يرى الغزلان ولا نحن نراها فنبَّهتْ كل حواسهِ ووقف قلقًا متحفزًا ولكن لم يظهر لنا انهُ رأى شيئًا فقال رفيقي ما مراد هذا العجوز فلا يعقل انهُ يريد ارسال الفهد وراء الغزلان على هذا البعد . والظاهر ان الفهاد فهم مرادهُ فاجاب فالهندستانية انم انهُ لا يرى الغزلان من هنا ولكنني سأدلهُ الى اين يذهب ليراها فاصبرا قليلاً تريا . ثم امسك رأس الفهد بيديهِ وادارهُ نحو الجهة التي كانت الغزلان ترعى فيها واشار اليها وردد بعض الالفاظ ودفعهُ من على المركبة فوثب الى الارض وجعل يعدو حتى غاب عن بصرنا . والظاهر ان الغزلان درت بنا فعدت امامهُ وصعدت الى اعلى اكمة وانحدرت الى الجانب الآخر قبلما وصل الى حيث كانت فاقتفى آثارها ولكنهُ لم يدركها فعاد ادراجهُ مطرقًا خجلاً ذليلاً ولكن اتضح لنا انهُ فهم مراد معلمهِ ولولا بُعْد المسافة لادرك الغزلان . انتهى

هذا وما ذكرهُ الدميري في حياة الحيوان الكبرى يؤيد ما تقدم ولو جاء ذكرهُ عرضًا فقد قال ان كليب بن وائل كان يصطاد بالفهد وكذلك ابو مسلم الخراساني وهرون الرشيد وان الفهد اذا وثب على فريستهِ لا يتنفس حتى يناولها فيحمي لذلك وتقتلهُ رئتهُ من الهواء فاذا اخطأ صيدهُ رجع مغضبًا . ومن امثالهم أوثب من فهد . لكنهُ قال ايضًا ان الفهد « ثقيل الجثة يحطم ظهر الحيوان » . والظاهر انهُ قرأ او سمع ان الفهد يحطم ظهر فريستهِ فظن انهُ ثقيل وقال انهُ اذا حمل على حيوان حطم ظهرهُ . وقال القزويني ان الفهد شديد الغضب ذو وثبات بعيدة يستأنس بالناس . وقال ابن سيده في المخصص الفهد ضرب من السباع يُتصيَّد بهِ واكتفى بخمسة اسطر مع انهُ كتب عن الذئب اكثر من ثلاث صفحات وعن الضبع اربع صفحات دلالة على ان معرفة العرب بالفهد كانت قليلة جدًّا لانهُ ليس من حيوانات بلادهم

الدردنوط البري يخرب المباني في طريقه

مقتطف فبراير ١٩١٧
امام الصفحة ١٦٧

الدردنوط البرّي

اشرنا في الجزء الماضي الى الاتومبيلات المدرعة الثقيلة التي يستخدمها الانكليز في الحرب الحاضرة وقلنا ان عجلها يدور على سلاسل من العوارض المتصل بعضها ببعض فلا تغوص في الارض بثقلها . وقد اطنبت الصحف الاوربية في وصف هذه الاتومبيلات وعظم فتكها وشدة فعلها في دك الحصون وتحطيم الاستحكامات وتدمير المتاريس وعدم تأثرها بقنابل المدافع الضخمة . ولكن فعلها هذا لا يعدّ شيئاً مذكوراً في جنب آلة تصوَّر رجل اميركي امكان اختراعها ومماها الجبار المخرّب وقال انها ستكون فيصل الحروب المستقبلة وصاحبة الكلمة العليا فيها . وهذا الرجل مهندس مشهور وهو مستنبط آلة تتحكم في حرارة الشمس واستخدامها في الاعمال المختلفة وآلات اخرى صناعية تنسب اليه . والى القارئ خلاصة مقالته بعد تمهيد طويل أبان فيه الفرق بين الحروب الماضية والحاضرة من حيث اتقان معدات الهلاك والدمار . قال :

ليس هناك سبب هندسي يمنع عمل بارجة برية ضخمة الدروع تسير على عجلات بسرعة عظيمة فتكون السلاح الاعظم في الحروب البرية المستقبلة صحيح ان بناء سوبر دردنوط يفخر عباب البحر ايسر من بناء سوبر دردنوط يجري في البر على عجلات لان البحر سهل واسع الجنبات لا اودية فيه ولا اكمات وكثافة الماء واحدة حيثما كان . واليابسة كثيرة الحزون والوهاد وصلابة سطحها تختلف كل الاختلاف من المستنقع اللين الى الصخر الصلد . وهذا هو السبب في وقوف الجيوش في البر الواحد ازاء الآخر للقتال بدلاً من ان يوكل القتال الى الآلات والعدد المختلفة كما في البحر

ولكن مهما يقل في عظم المصاعب التي تحول دون بناء دردنوط بري فاني ارى انهُ يمكن تذليلها وتمهيدها ببناء آلة ضخمة الحجم هائلة القوة الى حدّ انها تستطيع السير في الوعور كما يسير الاتومبيل في الحروب الحاضرة . ويكون اكمة التي عليها حصون قدماً في وجه هذا الدردنوط البرّي كما يكون حاجز من التراب علوه نصف قدم في وجه الاتومبيل العادي . ولا تعوق المستنقعات مسيرهُ الاَّ بقدر ما يعوق شبر وحل مسير الاتومبيل . وتكون سرعتهُ في السهل مئة ميل في الساعة وفي الوعر اعظم من سرعة الاتومبيل . وعلى سرعتهِ لتوقف قوة تدميره فان زخم جسم ضخم يندفع بسرعة الاكسبرس لهو زخم هائل يمكن ذلك الجسم من اجتياح كل شيء امامهُ وازالة كل عقبة في وجهه كما يفعل وابور الزلط

بالحصى التي يمرّ عليها . ولا حاجة وهو موجود الى المدافع لمزم الجيوش لان الجيوش تكون امامهُ كسرب من الاوز امام الاتومويل

و يكفي في وصف آلة مثل هذه ان نقول : تصور لنفسك آلة تتحرك من نفسها وتحتوي على مركبة مدرعة اعظم تدريع وثلاث عجلات . وهذه العجلات اثنتان منها الى الامام وقطر كلٍّ منها ١٥٠ قدماً الى ٢٠٠ قدم . وثالثة الى الوراء وهي اصغر منها وعملها عمل الدفة في السفينة . وبين العجلتين الاماميتين مسافة ٣٠٠ قدم وعرض كلٍّ منها ٢٠ قدماً وهما مصفحتان بالفولاذ وسمك الدرع فيها ٤ بوصات . ولما كانت هذه الآلة مرادة للتدمير بشدة زخمها اي بثقلها وسرعتها مجتمعين لا بمدافعها فلا حاجة الى ان تكون المركبة فيها كبيرة بل يكفي ان تشتمل على مركبة صغيرة لا ترتفع فوق العجلتين الاماميتين وتكون قوية الدرع خفيفة ما فيها من الآلات . ويكون عدد رجالها ٣٠ لا اكثر

ولا اجهل ان عمل آلات محركة تسيّر هذا السردنوط بسرعة مئة ميل في الساعة ليس من الهنات الميّنات ولكنهُ ممكن قياساً على السردنوطات البحرية . ومما تجب الاشارة اليهِ ان عجلة يكون قطرها ١٥٠ قدماً الى ٢٠٠ قدم لا تدور الاَّ نحو ١٥ دورة في كل ميل فتقطعهُ وهذا مما يسهل عليها تلافي الصدمات التي تتعرض لها . وغنيٌّ عن البيان ان الصدمة التي يلقاها هذا السردنوط في هدم منزل امامهُ لا تساوي الصدمة التي يلقاها المدفع البحري الضخم الذي قطر فوهتهِ ١٥ بوصة عند اطلاق قنبلتهِ ولا يخفى ان فعل الصدمة في المدافع الضخمة يزال باسطوانات تملأ زيتاً فتضيع قوة الرجة فيها وبالتالي يرتفع الضرر عن المدفع . ومثل هذا يمكن ان يصنع في السردنوط البري

وثقل الآلة كلها يكون خمسة آلاف طن . ولما كان الغرض منها سحق كل شيء في طريقها فالواجب ان يعلق بمقدمها اجسام ثقيلة ثقل كلٍّ منها عدة اطنان تخفض او ترفع حسب الحاجة . فاذا خفضت والسردنوط سائر بسرعتهِ العظيمة فانها تهدم كلَّ بناء وكل عقبة تجده في سبيلها

ومع شدة فتك هذا السردنوط لا طاقة لهُ باحتمال مدافع سكودا او كروب التي من عيار ١٦ بوصة لانهُ لم تُرَد لذلك بل لمقاومة مدافع الميدان العادية في اجتياح بلاد العدو ذهاباً واياباً وازالة ما بقيهُ من الخنادق والاستحكامات . وفي استطاعة العدو بث الالغام لنسف هذا السردنوط البري ولكن الالغام لا تمنع سفن الدردنوط البحرية من خروج الى عرض البحر . ولما كان السردنوط البري اسهل مراساً واطوع قياداً من سفن الدردنوط البحرية فانهُ يستطيع

تغيير مجرى سيرو كما عن له ذلك بسرعة عظيمة فيضطر العدو ان يلتهم مساحة كبيرة من الارض و ينسفها قبلما يتمكن من نسف هذا الدردنوط

اما سير هذه الآلة الجهنمية فيكون هكذا: يصدر قائدها الامر بالسير فتتحرك ببطء اولاً ثم لا تلبث سرعتها ان تساوي سرعة الاكبرس . ولنفرض ان امامها وعلى بعد ميل منها غابة كثيفة ففي دقيقة تبلغها وتندفع فتخور اشجارها كما لو كانت قصل الحنطة وهي لم تخدش خدشاً . وبعد الغابة قرية للعدو معسكر فيها فتهب اليها وقد زادت سرعتها وفي طرفة عين تبلغها فتحطم منازلها دوساً كانها صنعت من ورق . وحيث تطأ فهناك سحق وتخريب

هذا هو وصف الآلة التي تصور المهندس انها تكون صاحبة القول الفصل في حروب المستقبل . ووجوب هذه الآلة انما يكون بعد تصور الحرب ضربة لازب وامراً لا بدَّ منهُ ولا غنى عنهُ . على اننا نتمنى انها لا تكون كذلك بل ان الناس يتمكنون من منع الحروب بالوسائل السلمية وبتهديد المعتدي تهديداً يمنعهُ من الاعتداء ويكرههُ على الرضوخ والاذعان رضوخ الضعيف للقوي او القوي لمن هو اقوى . وهذا ما يسعى الحلفاء اليهِ . وما نخالهم الاَّ مفلحين

باب الزراعة

استغلال الارض

(١)

موظفو المزارع ثلاث متنوعة يمكن ارجاعها الى قسمين اصليين الاول الموظفون الذين يشرفون على جميع اعمال المزرعة . والثاني الموظفون المنوطون بنوع خاص من فروع اعمالها

فالاولون هم الذين يسوسون الاشغال ويديرون عليهم اعمال المزرعة ويديرها زراعياً واقتصادياً وتسييرها في سبيل السداد مادياً وادبياً كالمفتشين والآمير والناظر ومعاونيهم

فالناظر هو الموظف الذي يدير عمل مزرعة وحدة تسمى (النظارة) ويليهِ فيها معاون وقد تكون المزرعة صغيرة او مؤجرة فلا يحتاج فيها الى معاون

والمأمور هو الذي يدير عمل مزرعة فاكثر ويسمى مجموعها (مأمورية) بمعاونة عمال نظاراً كانوا او معاونين

والمفتش هو الذي يدير عمل جملة مزارع يسمى مجموعها تفتيشاً وقد يكون التفتيش مكوَّناً من جملة نظارات او مأموريات

فالمالك الذي يملك مزرعة واحدة يعين هو او وكيله ناظرها تحت اشرافه اي اشراف المالك والوكيل ذاته وقد تكون المزرعة ذات اهمية وناظرها ذا حيثية ممتازة فيسمى حينئذٍ (مأموراً)

والمالك الذي يملك مزرعتين فاكثر يعين لكل مزرعة ناظراً تحت اشرافه او يعين مأموراً او مفتشاً ليشرف على عمل النظار ثم يكون هذا المفتش تحت اشراف المالك او وكيله

وحيث يكون للمالك جملة تفاتيش او مأموريات قد يعين موظفاً يسمى مفتشاً عاماً والغالب ان يكون مركزه في اهم المأموريات او التفاتيش او في المحل الذي اختاره المالك او وكيله مركزاً له ويسمى (دائرة) اي ان الدائرة اعلى فالتفتيش فالمأمورية فالنظارة وقد لا يعين مفتشاً عاماً بل يكتفي باشرافه هو نفسه او وكيله

وفي التفاتيش الكبيرة يساعد المفتش في اعمال التفتيش مساعدون فنارة يسمى الواحد منهم (معاوناً) واذا كانوا اكثر من واحد يسمى اكبرهم شأناً معاون اول (باشمعاون) ويرقى في مساعدته للمفتش الى وظيفة مأمور تفتيش — فوكيل تفتيش — وواضح ان مأمور التفتيش غير مأمور الزراعة فليتأمل القارئ

وفي بعض الدوائر يكون معاون التفتيش اقل رتبة من ناظر الزراعة وفي البعض الآخر يكون ارقى وهذا هو الافضل كما لا يخفى

وكلما كان الرئيس الاداري اكثر المامًا باعمال الزارع المتنوعة كان اقدر على تدبيرها ومراقبة عمالها ولذلك جرى بعض الدوائر الممتازة على تعيين الرؤساء الذين يكونون مارسوا الاعمال الزراعية من اول درجاتها — معاون فناظر فمأمور تفتيش فمفتش

(يراجع ما كتبناه عن موظفي الادارة الزراعية في مقتطفي مايو ويونيو)

انما الموظفون المنوطون باعمال الزراعة في الغيط فقط وهم المعروفون باخولا (جمع خولي) فالخولي عليه مباشرة عمل الانفار المشتغلة والاعمال الزراعية كالحرث والعزيق وتطبيق تعليمات الناظر. والخولي الذكي كثيراً ما يساعد الناظر بالتفكير في تدبير اعمال الغيط والانتباه الى ما يلزم والى ما يلزم في وقت دون وقت وما يمكن او ما لا يمكن الاستغناء عنهُ الخ. واذا كانت المزرعة كبيرة يعين لها اكثر من خولي واحد واذا سمي اكبرهما بالشخولي وفي

مدة المواسم الزراعية المهمة كحفاوة ديدان القطن وغلت الرز وجني القطن يعين خولا موقتون مساعدون للخولا المستديمين ويسمون خُولا ظهورات

(٣) خدمة المواشي كالكلافين ورؤسائهم ونظار المواشي . وعليهم ملاحظة مؤونة المواشي ونظافتها وملاحظة اراحة ما اجهده العمل منها وتمريضها وسياستها وسائر ما يختص بذلك

(٣) الخفر للنوطون بحراسة المزروعات والمواشي والمخازن ومراقبة حدود الاطيان وكباريها وجميع الموجودات الخ وقد يعين لكل زراعة رئيس عام للخفر خاصة يسمى (شيخ خفر) او لكل تفتيش ويسمى (ملاحظ خفر)

(٤) المهندسون الرياضيون لوضع تصميمات انشاء المراوي والمصارف متناسبة مع درجات الارض وما يتعلق بذلك من تطهيراتها وكباريها وموازناتها الخ

وهذه الوظيفة (مهندس رياضي) لا تلزم الاَّ في المزارع المتحدة او في التفاتيش او الدوائر الكبرى حيث يستدعي العمل موظفاً اختصاصيًّا وكذلك المهندس المعماري (مهندس المباني) والغالب حتى في الدوائر الكبرى ان يكون ذلك من اختصاص المهندس الرياضي

(٥) المهندسون الميكانيكيون لمباشرة الوابورات ومتعلقاتها فحيث يوجد في الزراعة آلة ري بخارية لا بد من وجود اسطى لها (عطشجي) وكذلك اذا كان بها حراثة اودراسة الخ فاذا تعددت الآلات البخارية يلزم تعيين مهندس ميكانيكي كرئيس فوق الاسطوات والعطشجية . واذاً فهذه الوظيفة لا توجد الاَّ حيث توجد آلات بخارية مهمة او متعددة

(٦) النجارون لترميم الآلات الزراعية كالمحاريث والسواقي الخ ففي كل مزرعة كبيرة لا بد من وجود نجار ويسمى (نجار جافي) اما نجارو العمارات ويسمى احدهم بالنجار البدقي فلا يلزمون دائماً الاَّ في المزارع الكبرى المتحدة ومثلهم السروجية الذين يشتغلون في صناعة وترميم اطقم العربات او سروج الركايب (الخيل والبغال والحمير)

(٧) الوظائف الثانوية المتنوعة كخدمة المساجد ومعلمي المدارس في المزارع او التفاتيش الكبرى — وكالفرجية والعربجية والسياس الخ من الوظائف الصغيرة

(٨) وفي الدوائر والشركات الكبرى يوجد (طبيب بيطري) لتدبير المواشي دائماً في حالتي الصحة والمرض وتوجد ورش صناعية خصوصاً للاعمال الميكانيكية ويوجد فيها صناع فنيون الخ

(٩) وظائف الكتابة لتدوين ايرادات المزرعة ومصروفاتها وموجوداتها ومعاملاتها

ومخاطباتها الخ من الاعمال المسايرة لحركة اشغالها والتي يرجع اليها في تعرف احوالها واستنتاج النتائج الدالة على درجة تقدمها وربحها . ففي كل نظارة يوجد كاتب وحدهُ او معهُ مساعد لهُ وكذلك في كل مأمورية وتفتيش يوجد عدد من الكتاب بقدر ما تقتضيهِ حركة العمل وكيفية نظام الكتابة . ففي التفاتيش الكبيرة يوجد باشكاتب يرأس جميع اعمال الكتابة وكاتب تحريرات للمخاطبات المتبادلة بين التفتيش ومعامليهِ ورئيس حسابات يعاونهُ كتاب تحت يدهِ لفروع الحسابات كحساب الايجارات وحساب المصروفات والمراجعة الخ

وتشتمل اعمال الكتابة على وظائف المخزنجية (امناء المخازن) ووظائف الصيارف (امناء الخزينة خزينة النقدية) وسنفصل كل ذلك بعدُ

وضبط اعمال الكتابة وتنظيمها من الوسائل الضرورية لتعرف اتجاه اعمال المزرعة ليمكن استزادة الربح والحرص عليهِ ان كان الاتجاه اليهِ او تلافي الخسارة وتعديل الاتجاه الى مظان الربح ان لم يكن كذلك من قبلُ ولذلك يحسن بعمال الادارة لاسيما الرؤساء المسئولون منهم عن نتائج الاعمال ان يكون لهم الملم بالحسابات الزراعية حتى يتيسر لهم حال الاطلاع على كشوفات العمل اتقان اعمال المراجعة والمقارنة بين ما صرف على الفيط وما نُتج فيهِ وما نتج منهُ وتطبيق ذلك على الواقع فعلاً فان ذلك لا يتيسر لعمال المراجعة الكتابية ليعدهم عن اعمال الفيط فتقتصر مراجعتهم على تصحيح الكشوفة في ذاتها من وجهة حسابية فقط من حيث مطابقتها للواقع في الفيط او ما كان يجب ان يكون فيهِ لو كان العمل احكم واسدّ فلا يتيسر ذلك الاّ للرؤساء المباشرين للعمل فعلاً او من في معناهم من العمال المدركين لشؤون الفلاحة وطرق المراجعة معاً

ومن الاسف ان هذه المراجعة التي اشير اليها غير موجودة حتى في احسن الادارات الزراعية

ولكل دائرة طريقة خاصة في تكييف وتوجيه اعمالها وتاريخها الزراعية والكتابية وهذه الطرق لم تدون بعدُ اصولها تدويناً يُفيد فائدة عامة

وربما احاول في مقالات أُخر تفصيل ذلك بعد الفراغ من موضوعات استغلال الارض وستكون مقالتي التالية عن تأجير الاطيان وطرقهِ وفوائدهِ ومحاذيرهِ التي يجب الانتباه اليها

احمد الالفي
مأمور زراعة

بعض المقدّدات

قدد الناس الاثمار من قديم الزمان . فقد ورد في التوراة ذكر الفريك وعناقيد الزبيب واقراص التين والزبيب . وعرف العرب التقديد ولهُ عندهم مترادفات منها التشريز او التشريبة بابدال الراء باء والتمهير والتزبيب . جاء في القاموس تمر الشيء يمرهُ واللحم قطعهُ صغاراً وجففهُ . وشرّز اللحم والأقط (الجبن) وضعهُ في الشمس ليجف . والقديد اللحم المشرّز المقدّد . وزبّب العنبَ والتين صيرهما زبيباً . فالزبيب التين او العنب المقدّد ولكنهُ يطلق في الشام على الثاني فقط . اما في مصر فالزبيب او العرقي هو الشراب المتخذ من العنب او الزبيب (ويسمّى الاول في الشام عرقاً) وحق الثاني ان يكون الزبيبي لا الزبيب قال الشاعر

آهاً على سكرة لعلّي ان اخلط الهمّ بالزبيبي

وقد تفنن اهل هذا الزمان في التقديد حتى تناول معظم الاثمار واصناف اللحم والبقول والحبوب كما يرى في كل دكان من دكاكين كبار البقالين والبدّالين . على اننا اقتصرنا في هذه العجالة على ذكر بعض المقددات التي لا ترى في اسواقنا او قلما ترى فيها

الموز

فمن الاثمار الموز المقدد بحرارة الشمس وهو يباع في اسواق اوربا واميركا وخصوصاً الشمالية منها محفوظاً في صناديق . وهو كثير الغذاء ولذيذ الطعم جداً

ويصنعون من الموز قدراً كبيراً من المربّى ولونهُ احمر اسمر وطعمهُ كطعم مربّى التوت الافرنجي وترسل مقادير عظيمة منهُ الى الجيوش المتحاربة . اما قشرهُ فيستعمل علفاً للدجاج او في عمل الورق او يجفف للوقود . ورمادهُ يستعمل سماداً

ويصنع من نوع من الموز نوع من الدقيق ونوع من البسكويت الفاخر . كذلك يصنعون منهُ قهوة ولكنها دون القهوة التي تصنع من التين المقدد المضغوط . وهذه الاخيرة صنعت في اوربا منذ قرن من الزمان وهي لا تزال تستعمل في الآستانة طعاماً وشراباً في كثير من بلاد اوربا

جبن الفول

يصنع جبن الفول في بلاد الشرق الاقصى حيث لا يؤكل الجبن او الاقط المصنوع من اللبن . وهو مثل جبن التين في تركيبهِ الكيماوي وطعمهُ لذيذ اذا أُضيف شيء قليل منهُ الى المكروني وغيرها من المآكل التي يدخل الجبن فيها زادها نكهة فهو لذلك ارخص من

الجبن العادي على ان اهل الفن يقولون لك ان للجبن الحيواني رائحة خاصة به لا تجدها في الجبن النباتي اذا خفيت على الناس عادة لا تخفى على ابن الفن العارف بصناعة الجبن . كذلك يصنع من الفول نوع من المكروني في البلاد المذكورة . والفول المستعمل للجبن هو فول الصويا

مصنوعات الرز

يصنع من الرز صنف من المكروني يفوق الاصناف المعروفة بمراحل . وهو يكون بهيئة خيوط بيضاء فضية تلمع بنور الشمس كأنها شلل حرير ناصع البياض . وقد يضغطونها اصفيراً لحجمها . وهي من اللذ اصناف المكروني طعماً

ويصنع من الرز صنف من السكر وصنف من المشروب . ويصنع من قشر ملابس لا ينفذها ماء المطر

الشاي المضغوط

لا نكاد نعرف في اسواقنا من انواع الشاي غير الشاي المصنوع من الاوراق المجففة والمتروكة على حالتها الطبيعية . ولكن من الشاي نوعاً يعرف بالشاي المضغوط يصنع على اشكال مختلفة فمنهُ ما كان على شكل ازرار ومنهُ ما كان على شكل عصيّ قصيرة . ومنهُ ما هو على هيئة الواح كالواح الغرانيت ثقل الواحد منها كيلو فرامان الى خمسة وهذه الالواح تقوم في بعض انحاء الصين مقام النقود . ومنهُ ما هو على هيئة اقراص مختلفة الحجوم

***

ومما يذكر في صدد الكلام على المقتدات ان الناس في كل بلاد يستعملون اقدامهم بدل ايديهم في الضغط والعصر وما اشبه من اعمال التقديد . ففي الشام يعصرون بأقدامهم العنب لعمل الدبس والعرق و يدوسون المشمش لعمل قمر الدين . وفي الصين يستأجرون الفتيات ليضغطن باقدامهن بعض انواع الشاي التي لا تستلزم ضغطاً شديداً . وفي بعض مخابز تيرينورك تعجن الخبازة العجين باقدامهن . وفي بعض جهات اميركا يعصرون العنب بارجلهم كما في سورية

قيمة البقرة الحلوب

رأينا جدولاً قدّر فيه احد الخبيرين قيمة بقرة حلوب وما يجنى منها وما ينفق عليها في البلاد الاميركية فاثبتناهُ للدلالة على مقدار عناية القوم بفرع يعدّ عندهم من اهم فروع

التجارة والزراعة اي فرع تربية المواشي لاستدرار لبنها . وهذا التقدير هو عن سنة واحدة لبقرة حلوب عمرها ثماني سنوات :

الجبن في سنة

سنت	ريال	
٢٧	١٥٨	١٢٥٦١ رطلاً من اللبن فيها ٥٦ و ٥٢٧ الرطل من الزبدة بسعر ٢٩ سنتاً الرطل
٠٠	١٠٠	عجل ولد في خلال السنة
٢٧	٢٥٨	

النفقة

سنت	ريال	علف وركش
٠٠	٣٠	طنّان من القش بسعر ١٥ ريالاً
١٩	٢٤	١٠٧٥٢ رطلاً من ورق الذرة بسعر ٤ ٣/٤ ريال الطن
٥٧	٠٨	٦١٢ رطلاً من كسب بزر القطن بسعر ريال و ٤ سنتات
٩٦	٠٢	١٧٤ « « كسب بزر الكتان « ريال و ٧ «
٥١	٢٧	٦٥ ١/٢ بشل من الاوتس بسعر ٤٢ سنتاً
٠٧	٠٩	٧٥٦ رطل من دقيق الذرة بسعر ريال وسنتين
١٣	٠٣	٦٤٨ رطل نخالة بسعر ريال وسنت
٠٠	٢٠	٠٥٠ بشل جزر بسعر ٤٠ سنتاً
٠٠	١٢	طنان من تبن القمح بسعر ٦ ريالات
٠٠	٠٥	فائدة ثمن البقرة وهو ٢٥٠ ريالاً على نسبة المئة ٦
٧٥	٢٨	خسارة قيمة البقرة على نسبة المئة ٢ ١/٢
٠٠	١٥	تلف الادوات المختلفة
١٨	٢٠٠	المجموع الكلي
٠٩	٠٥٨	الربح الصافي
٢٧	٢٥٨	

وقد حسب زبل البقرة في هذا التقدير مساوياً لاجرة العناية بها فقوّم هذا بذاك ولم يذكرا في الدخل والخرج . وخلاصة هذا الحساب ان بقرة واحدة من البقرات الحلوبة عادت على صاحبها بربح سنوي صافٍ قدره ٥٨ ريالاً وكسور او نحو ٥ ريالات في الشهر ولكن بعد بذل منتهى العناية بها كما يظهر من جدول النفقة . فعشرون بقرة من نوعها تعود بدخل صافٍ لا يقلُّ عن مئة ريال في الشهر . وهي تجارة رابحة تستحق عناية فلاحينا ومربي المواشي بيننا حيث يتيسّر العلف الكافي

الذرة

يزرع في القطر المصري نوعان من الذرة تحت كلٍّ منها اصناف كثيرة وهما الذرة البلدية والذرة الشامية . اما الذرة البلدية فحبوبها في سنبلة كبيرة في اعلاها والظاهر من النقوش المصرية القديمة انهُ كان في القطر المصري في زمن الفراعنة نوع من المزروعات يشبه الذرة وقد رسمنا صورتهُ امام الصفحة ٢٥٣ من المجلد ٤٦ من المقتطف

ولهذه الذرة اشكال مختلفة في القطر المصري واكثر اعتماد الفلاحين في الوجه القبلي عليها لانهم يصنعون خبزهم منها وهي مغذية جداً ولاسيما الصنف المعروف منها بالبارسيم الاصفر فان البروتيدات فيهِ تبلغ ١٠٫٢٠ في المئة وهي في الذرة الاميركية الجيدة لا تزيد على ١٠ في المئة . وفي دقيقها اقل من ٨ في المئة ولذلك تكون غلى من الذرة الشامية فان الاردب منها يساوي وقت كتابة هذه السطور ١٥٠ غرشاً ومن الذرة الشامية ١٢٠ غرشاً

واما الذرة الشامية فأصلها اميركي وهي اصناف مختلفة ايضاً وزراعتها واسعة جداً في اميركا ولاسيما في الولايات المتحدة فان محصولها السنوي فيها يبلغ نحو ٦٠٠٠٠٠٠٠٠ اردب تباع عادة بنحو ٣٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه اي ان متوسط سعر الاردب هناك نحو نصف جنيه . وتكثر لعمل الذرة المهروسة التي صرنا نطعم بعضها للدواجن بدل الفول علفاً لمواشينا وما بقي يطحن اكثرهُ دقيقاً يستخدم الباقي لعمل النشا والدبس والسكر . وقد بلغ ما طحن منهُ سنة ١٩٠٩ نحو ٤٠ مليون اردب وما صُنع منهُ النشا والدبس والسكر ١٠ ملايين اردب . ويقال ان اطعام الجانب الاكبر من الذرة الاميركية للمواشي اسراف لا موجب لهُ وانهُ لو زاد المطحون منها دقيقاً لزاد سوقهُ وكان ذلك اربح لاهل الزراعة ولذلك نرجح ان ثمن الدقيق عندنا يهبط كثيراً بعد الحرب اذا خفضت اجرة النقل بما يرد علينا من الدقيق

الابيركي . نعم انهُ لا يكون مغذياً كدقيق الذرة المصرية لقلة ما فيهِ من المواد الدهنية والنتروجينية ولكن جمهور الناس يلتفت الى بياض الدقيق لا الى ما فيهِ من الغذاء

واذا رخص ثمن الدقيق فما يكون حال الزارع المصري الذي يخسر الآن اذا باع اردب الذرة باقل من مئة غرش . والجواب انهُ يضطر ان يتقن الزراعة حتى يجني من الفدان اكثر مما يجني منهُ الآن . فقد عرفنا بالاختبار اننا اذا انتقينا التقاوي واحسنا زرع الذرة وتسميدها وعزقها وريها وتنقية الحشائش منها فان محصولها يضاعف اي ان الفدان الذي يجني منهُ عادة خمسة ارادب او ستة يجني منهُ حينئذٍ عشرة ارادب او اثنا عشر اردبًا او اكثر الى عشرين اردبًا . ولا يندر ان ترى الآن غيطاً بلغ محصول الفدان منهُ خمسة ارادب او ستة ويجاورهُ غيط آخر ايجارهُ مثل ايجارهِ ولكن زارعهُ جنى منهُ ١٢ اردبًا او ١٥ اردبًا لانهُ اتقن زرعهُ وتسميدهُ وخدمتهُ

ومعلوم انهُ اذا تضاعف المحصول فربح الزارع يكون اكثر من مضاعف ما كان قبلاً لان مصاريف الزراعة تكاد تكون واحدة في الحالين

ثم ان مقطوعية النشا والدبس والسكر ليست قليلة في البلاد ولا بدَّ ما تزيد بزيادة الزراعة فيها فاذا انشئت لها معامل صغيرة حيث تكثر زراعة الذرة في الامكان استخدام بوص الذرة وقوداً لها وقد يكون من ذلك ربح وافر

الجبن والزبدة

لما رأت الحكومة الانكليزية قلة ورود الجبن الى بلادها بسبب الحرب اشارت على اللبانين بعمل الجبن من اللبن بدل استخراج الزبدة منهُ . وقد وجد بالامتحان ان عمل الجبن اربح من عمل الزبدة فانهُ يصنع من كل ستة جالونات من اللبن سبعة ارطال واثنتان من الجبن تباع بنحو ٣٦ غرشاً ويبقى منها خمسة جالونات من معمل اللبن تساوي ٤ شيلنغ والجملة ٣٨ غرشاً ولكن الستة الجالونات من اللبن يستخرج منها رطل وعشر اواقٍ من الزبدة تساوي ٤٠ غرشاً واللبن الذي اخذت زبدتهُ كلها يساوي خمسة غروش والجملة ٤٥ غرشاً فالفرق عشرون غرشاً وبهذا من عمل الجبن بدل استخراج الزبدة

باب تدبير المنزل

قد افتتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم امر البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام والثياب والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المرأة في مقام العزاء

كتاب مسز ددلي

انجع ما يكون العزاء للمحزون اذا صدر عن قلب رقيق سريع الى الشعور والمؤاساة والتوجع . وقلب مثل هذا خليق بالمرأة لضعفها ورقة شعورها ولين جانبها بالنسبة الى الرجل . ولكن الرجل ادّعى هذا القلب واحتكره لانهُ احتكر الادب او كاد والادب لسان هذه الدعوى ثمّ كان ام شعراً . وعليهِ فلا ذكر التاريخ لنا ان المرأة نبغت في العزاء كما نبغت في كثير من الفنون . وكلّ ما نعلمهُ عن العرب ان الخنساء نبغت في الرثاء والبكاء فاذا طرقت باب العزاء قصرت ولم تجد فيهِ ما يخفف عنها لوعة الحزن على اخيها صخر

لكننا قرأنا عن كاتبة انكليزية حديثة ما ذكّرنا حكاية عمر بن الخطاب ومتمم بن نويرة فقد كان متمم هذا من كبار الشعراء المخضرمين الذين ادركوا الجاهلية والاسلام . فلما قتل اخوهُ مالك بامر خالد بن الوليد رثاهُ بقصيدتهِ المشهورة التي يقول فيها

وكنّا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ثم قدم على عمر بن الخطاب في خلافة ابي بكر الصديق فقال لهُ عمر ما بلغ بك الوجد على اخيك . قال بكيتهُ حولاً حتى اسعدت عيني الذاهبة عيني الصحيحة . قال انشدني بعض ما قلت فيهِ فانشده مرثية انشار اليها فقال عمر . لو كنت اقول الشعر لرثيت أخي زيداً » فقال متمم « ولا سواء لو كان لي صُرع مصرع اخيك لما بكيتهُ » فقال عمر « ما عزاني احد باحسن مما عزيتني بهِ »

وهكذا صنعت الكاتبة الانكليزية التي تقدمت الاشارة اليها فانها ألّفت كتاباً في عزاء المكروبين بهذه الحرب اجمت الصحف على القول انهُ اجمل ما يعزّى بهِ حيٌّ على ميت فنفدت نسخهُ طبعة اثر طبعة

مصر ددي

دقتطفه دجار ٣ ٩

امام صفحة ٢٨

والذي حداها على كتابته هو انها كانت ذات يوم في دكان كتبي فسمعت ابنة تقول لهُ « اريد كتاباً عن الحرب سارًّا على قدر الامكان . لانهُ لامراة تثل ابنها » . ففتش الكتبي وفتشت هي معهُ فلم يعثرا على المراد . سمعت الكاتبة ذلك واسمها مسز ددلي ووعتهُ في قلبها ثم اتفق ان صديقة لها فقدت قرينها فطفحت كأس حزنها والّفت الكتاب الموماً اليهِ . فقرظتهُ صحف انكلترا الكبرى وقالت الدايلي تلغراف في تقريظهِ : ان مسز ددلي لم تكتب كتابها عبثاً فهو باب للسلوى ومنفّسٌ للبادىء العليا يفسر لنا معنى التضحية العظمى » . وقالت جريدة اخرى : « ان مسز ددلي اطرت في كتابها فعال الذين حملوا عنا حمل الحرب وخاطبت الثاكلات والنائحات بكلام تفهمهُ النساء »

ولما رأت الكاتبة نجاحها في هذا الكتاب طرقت باب الشعر فنظمت متفرقات تدّبي بها الورود كتشاور وضمتها كلها في ديوان سمتهُ « الوداع » وهو من الشعر الرائق لا يقلُّ عن كتابها في رقة مبانيهِ وسموّ معانيهِ . وهي اميركية الجنس تزوجت ضابطاً انكليزيًّا من اسرة ددلي الشهيرة المتسلسلة من اول دوقات نورثمبرلند

النساء والتلغراف اللاسلكي

لما نشبت الحرب جرّب فرع شركة مركوني للتلغراف اللاسلكي في انكلترا تعليم النساء ارسال التلغرافات اللاسلكية ليعملن بلائحٍ لهذه الصنعة املا فانشأ مدرسة لهنّ في احدى محطاتهِ حيث يتعلمن استعمال التلغراف اللاسلكي فدخلها عدد كبير من الطالبات وواظبن على الحضور والدرس وارسل بعض اللواتي اكان دروسهنّ واختبارهنّ الى بعض المحطات ليتناوبن العمل بدلاً مع الرجال . وقد امتازت رسائلهن بضعف اثرها وهذا ناشئ عن لطف اليد التي ترسل الرسائل مما يدلُّ على ان تسمية النساء بالجنس اللطيف لم يكن اعتباطاً . ولكن اللطف في هذه الحالة حسب عليهنّ لا لهنّ والعارفون يرجون اصلاحهُ باستعارة النساء شيئاً من خشونة الرجال وجفوتهم

الطالبات في الجامعات الالمانية

بلغ عدد الطالبات في الجامعات الالمانية ٥٤٦٠ طالبة في صيف سنة ١٩١٦ او نحو ضعفهن سنة ١٩١٠ . وبلغت نسبتهنّ الى الطلبة ١٠٫٥ في المئة يقابل ذلك ٤٫٨ في المئة سنة ١٩١١ .

وزاد اقبال الطالبات في الخمس سنوات الماضية على درس الرياضة والطبيعة والطب وخصوصاً الاخير منها حتى بلغ عدد طالباته ربع مجموع الطالبات كلهن بمقابل ذلك ٢٠ في المئة سنة ١٩١١ وبعبارة ادق ١٣٩٤ مقابل ٥٨٣ . اما طالبات الرياضة والطبيعة فبلغن ١٠١١ سنة ١٩١٦ بمقابلهن ٥٠٤ سنة ١٩٠١

وكان عدد طالبات علم اللغات والتاريخ ١٥٦٣ سنة ١٩١١ فزاد الى ٢٦٥٤ في السنة الماضية . وزاد عدد طالبات التاريخ السياسي والزراعة من ٦٧ الى ٢١٣ . والقانون من ٣٩ الى ٩٣ . واللاهوت بحسب الكنيسة الانجيلية من ٥ الى ١٤ . والصيدلة من ٨ الى ٢٢ . وطب الاسنان من ٢٧ الى ٥٨

ومنذ نشوب الحرب ازداد عدد الطالبات ازدياداً محسوساً في جامعات بروسيا وبفاريا وهي جامعات برلين وفرنكفورت وماربرج وهال وميونخ

تهوية المساكن

يمزى النعاس في غير وقت النوم وامراض الحلق المتعددة الى طول الاقامة في الاماكن المقفلة كالمكاتب والمدارس والمامل وما اشبهها . وقد كان الرأي الشائع قبلاً ان الحامض الكربونيك الذي يكثر وجوده في الاماكن المحصورة الهواء هو اعظم ما يضر الصحة فيها ولكن التجارب اثبتت فساد هذا الرأي . فان ما يجتمع من الحامض الكربونيك في الغرف المقفلة عادة هو اقل مما يضر متنفسه . ففي الهواء كمية منه على الدوام كثرت او قلت وهو لا يزعج الذي يتنفسه الا اذا بلغ مقداره ثمانية اضعاف الموجود منه في انقى الهواء الى عشرة اضعافه . وقد كاد الفسيولوجيون في هذا الزمان لما تقدم من الاسباب يتناسونه ولا يعدونه بين العناصر التي يخشى منها على الصحة فاذا حاولوا هواء غرفة ما ليعلموا ما تحوي منه لم يذهلك الا للاستدلال على عدد الاقدام المكعبة من الهواء التي تلزم الفرد منا

وقد ظهر من مباحث بعض العلماء الاميركيين في الغرف وتهويتها لمعرفة مقدار تأثير الرطوبة في الصحة ان برد الغرف ليس وحده سبباً في ازعاج المقيمين فيها وان الاقامة في غرفة باردة شتاء يطيب لكل احد كالاقامة في الغرف الدافئة بزيادة الرطوبة او بخار الماء في الباردة كما ذكرنا في مقتطف يناير

وظهر لهم ايضاً ان الغبار في هواء الغرف يضعف القوى ويهبط الحيوية اذا وجد فيها على نسبة ثلاثة ملايين ذرة في البوصة المكعبة . فلا يكفي والحالة هذه في تهوية الغرف

ان يعنى بتجديد الهواء وتنظيم درجة حرارته بين لا غنى عن تجفيفه او ترطيبه حسب الاقتضاء ومن تنقيته من الغبار على قدر الامكان

مسامير الارجل

المسامير التي تظهر على ارجل بعض الناس تاشئة في الغالب عن لبس الاحذية الضيقة . فان طبقة الجلد السطحية تخشن وتسبك من ضغط الحذاء وينبت فيها شيء شبيه بالمسمار يمتد الى الجلد الحساس فيؤذيه ويسبب الالم عند الضغط . وقد تنبت بين اصابع القدم مسامير لينة لا تختلف عن سائر مسامير القدم الا في لينها وسبب هذا اللين العرق الذي يكثر افرازه في منابتها . على ان المسامير لا تنبت في الجلد الا بعد ارتفاع الضغط اي بعد خلع الحذاء فلو امكن لبسه على الدوام لنما كل الجلد بدلاً من ان يبرز ويتخذ شكل مسمار . وسبب هذا البروز الالتهاب المسبب عن الضغط

ولهذه المسامير تأثير عظيم في الصحة فانها تحرج الصدر وتضيق الخلق بوخزها المستديم . فلذلك عني الافرنج عامة مزيد العناية لتكون الاحذية واسعة الا اهل «الموضة» وهم المصابون بهذه المسامير عادة دون سائر الناس . والانكليز والاميركيون اكثر الناس عناية باحذيتهم وتوسيعها الى حد الخروج عن المألوف . وقد بلغ من عناية الانكليز بالاحذية ان مثل دوق ولنتون عن اشد الاشياء لزوماً للجندي فقال هي ثلاثة : حذاء واسع وحذاء واسع وحذاء واسع

تنظيف الآنية الفضية

من اسهل الطرق لتنظيف الآنية الفضية وازالة ما علق بها من الصدإ والوسخ ان يملأ اناء من الالومنيوم او الخمار ماء حاراً ويذاب فيه شيء من كربونات الصودا ثم تغمس الآنية التي يراد تنظيفها بضع دقائق في هذا السائل فتخرج منه نظيفة لامعة

ازالة الصباغ القديم

يزال الصباغ او الفرنيش القديم عن قطعة من الاثاث بدهنها بمزيج من الغراء الشديد الحرارة وتركها كذلك بضع ساعات فيتقشر الصباغ ويزال عن الخشب بسهولة

باب الصناعة

الصناعة الاميركية

وهمة صانع

اميركا قطر زراعي كالقطر المصري وهو فوق ذلك صناعيٌّ والقطر المصري ليس كذلك. وهذا الفرق العظيم بينهما هو نتيجة طبيعية لاحتواء اميركا على الوسائل التي تقوم بها الصناعة وتروج وخلوّ مصر منها. واهمّ هذه الوسائل الفحم الحجري والحديد وسائر المعادن والمواد الخام التي لا بدّ منها في كل صناعة واتساع المتاجر الداخلية والخارجية. وجهد ما تستطيعهُ مصر في هذا المضمار اصلاح بعض شؤونها الصناعية فتستغني عن بعض ما تستوردهُ من الخارج. اما منافستها للبلاد الصناعية فتعذرة للاسباب المتقدمة

كانت اميركا تستورد مقداراً كبيراً من حاجياتها اللازمة للصناعة من البلاد الاجنبية واوربا في الجملة قبل الحرب الحاضرة فلما نشبت الحرب واصاب التجارة ما اصابها من العرقلة والكساد بسبب قطع دروبها البحرية انقطع عن اميركا ذلك الوارد او جلّهُ فباتت مفتقرة كل الافتقار الى المواد الخام في صناعاتها المختلفة. ورأت حينئذٍ ضرر الاتكال على الغير ونفع الاعتمال فقامت تعمل فاصلحت بعض ما اختلّ ورقّت بعض ما انفتق. ولا ادلّ على ما فعلت عاملٌ كبير مخترعيها المستر اديسن في صناعة الفونغراف فقط. فقد حادثهُ بعضهم في هذا الموضوع فقال:

«ان الحرب ضرّتنا اعظم ضرر في كثير من مرافقنا. فقد كنّا من اكثر البلاد استيراداً لحامض الكربوليك الذي نستخدمهُ في صنع اسطوانات الفونغراف. وكان عندي منهُ عند نشوب نار الحرب ما يكفيني شهرين او ثلاثة اشهر. وكانت احدى البواخر قد خرجت من احد المرافئ تحمل لي مئة الف رطل منهُ فحجزت في انكلترا. ومفاد ذلك انهُ يجب علينا اقفال مصانع الفونغراف ولكنني لم افعل بل ما زلت اجرّب التجارب حتى وفقت في ثلاثة اسابيع الى عمل مادة تقوم مقام الحامض الكربوليك وتفي بالمرام تجاريًّا

ثم حاولت شراء البنزول فلم اظفر بمرادي فطلبت من احد معامل الفولاذ ان يؤجرني

قطعة ارض اقيم فيها الآلات اللازمة لاستخراج البنزول واستخرجهُ بنفسي على ان اعطيهم مقابل ذلك ١٨ سنتاً مقابل كل جالون استخرجهُ فرفض طلبي مع انني لم اكلفهُ نفقة ما بل دفعت لهُ ثمن نفاية لا يحتاج اليها . ثم عرضت مثل ذلك على شركة اخرى فقبلت ولم يمضِ شهر ونصف حتى صرت استخرج بنزولاً ولكن ما كنت استخرجهُ لم يكن كافياً . فعرضت على شركة اخرى ان استخرج البنزول من نفاية مسابكها فقبلتهُ . ولكن هذا لم يكفِ ايضاً . فكاتبت شركة في كندا فتعهدت باستخراج البنزول على حسابي بشرط ان ارسل اليها الادوات اللازمة ففعلت

وبعد البنزول رب الورق اللازم في صناعة الفونغراف وهذا بات في الحرب من المهربات فتمكنت بعد جهد جهيد من الاتفاق مع احدى الشركات على تقديمهِ لي . وكذلك وجدت صعوبة كثيرة في الحصول على الماس اللازم للفونغرافات بعدما ادخل في حكم المهربات كرب الورق وغيرهِ

ومن البنزول استخرجت الانيلين فان بعض شركائي في صناعة المسك طلبوا مني ان اساعدهم في استخراج الانيلين وكذلك استغاث بي بعض اصحاب المطابع فاقدمت على استخراج الانيلين وظفرت بمرادي بعد نشوب الحرب بخمسة اشهر فكنت اول من استخرجهُ في اميركا . ولا يزال المعمل الذي بنيتهُ لاستخراجهِ يعمل حتى الآن

ثم قامت ضجة في سوق الفراء وارتفعت صيحات الفرائين بالاستغاثة اذ لم يجدوا رطلاً واحداً من الصباغ اللازم لصناعتهم وهو المعروف باسم بارافينيلين ديامين . فسألوني هل استطيع ان اوافيهم بهذه المادة و نجح الانيلين فاجبتهم بالايجاب وصنعت لهم ما يريدون منها

ونضب معين البارا اميدول فينول من مخازن صناعة الفونغراف فجهزتها بما يلزمها منهُ . والآن اني اعد العدة لعمل البنزيدين اللازم لهم لزوم الاول وقد كدت افرغ من ذلك ومتى فرغت منهُ فلا اجيب نداء آخر ولا البي طلباً باقامة معمل لاني اشك في قدرتي على ابقاء هذه المعامل مفتوحة بعد انقضاء الحرب . ولا يخفى اني انما بنيتها اجابة لداعي الضرورة الملحة وكان بناء الواحد منها لا يستغرق اكثر من شهرين

ترى من ذلك اننا بلغنا بعض الوطر من الاستقلال الصناعي بعدما اضطرونا الى تلبية مطالبنا بانفسنا وانى الاعتماد بعد الاتكال على غيرنا ولكننا لن نستطيع كل الاستقلال في صناعة الاصباغ لان المانيا تصنعها احسن منا وارخص فلا بدَّ لنا من شرائها منها . واي نفع لنا من اضاعة الوقت سدًى على عمل اشياء يستطيع غيرنا عملها بنفقة اقل . وارجو اننا نحتفظ

بالاصباغ البسيطة التي عندنا ولكنني اشك في قدرتنا على الاستغناء بالمركبة . وسر تفوق المانيا في هذا الباب هو طول المدة التي مرّت عليها وهي تصنع الاصباغ وتتقن فيها فلا طاقة لنا بمنافستها

والمرجح اننا لا نلبث مرة اخرى فيما بعد كما لبثنا هذه المرة فان كان عندنا ٣٥ لوناً او ٣٠ من الاصباغ نستطيع عملها في هذه البلاد فهي تكفي لسد حاجاتنا ولا حاجة بنا الى صنع ١٦٥٧ لوناً . وعندنا من الاعمال والواجبات ما يزيد على مقدرتنا فلا نزاحم المانيا في هذا الميدان

ومن شر الامور علينا اننا لم نعمل بنزولنا واياليتنا فيها مضى بدلاً من ان نستوردها من الخارج في حين اننا نطرح من خبث الفحم الحجري كل يوم اطناناً من الاطنان . فنحن مسرفون في طرقنا التعدينية لاننا لا نستخرج من الفحم الاَّ ما يعود علينا بربح جزيل اما الاشياء الباقية فيه فنبذلها اذ ليس عندنا قوانين تحول دون ضياع مئات الملايين من الاطنان سدى وتراها نستخدم الغاز الطبيعي لمجرد تسلية الجمهور . فالواجب سنّ القوانين اللازمة لمنع ذلك . فاذا تسنَّ ولاية منسوتا احدى ولاياتنا قانوناً لتعيين طول الملاءات وعرضها في اسرة الفنادق ولا تستطيع البلاد كلها سنّ قانون خطير الشان يمنع اتلاف مواردها الطبيعية

ومن اهم المسائل التي يجب توجيه الانظار اليها في هذه البلاد مسئلة عمل الاسمدة النتروجينية اللازمة للزراعة فاننا نستطيع عملها ارخص كثيراً من المانيا لان قوة انحدار الماء عندنا اعظم والفحم ارخص وكلفة جميع المواد اخام اقل . وزد على ذلك كون العمال الاميركيين امهر من غيرهم . خذ مثلاً لذلك مركبات الاتوموبيل عندنا ورخص اثمانها فان اوربا لا تستطيع فهم سبب هذا الرخص واجرة الصانع عندنا اكثر مما هي فيها . ولكن الصانع الاميركي اكثر مهارة وكفاءة من الصانع الاوربي [illegible] الخلقة من هذه الجهة فوجدت النتيجة مدهشة . وكانت المقابلة بينهن فيما يستطيع الصانع ادارته من الانوال وهذا العمل يقتضي قدراً من الخلق والمهارة فذلك حسبة افضل الاقيسة لذكاء الصناع . اما النتيجة التي توصلت اليها فهي ان الصانع الاميركي يفوق غيره بار بعين في المئة في ادارة الانوال مثلاً . اي ان اميركا هي الاولى من حيث عدد الانوال التي يستطيع الصانع الواحد ان يديرها ويخرج منها نوعاً من البضاعة صالحاً للغير

وعندي انهُ يحسن بعلماء الاخلاق ان يدرسوا المعادلات العقلية في كل امة ويقابلوا بينها . ففي اثناء سياحتي في اوربا طرقت هذا الموضوع فوجدت اهل فرنسا اسرع انتباهاً من اهل سائر البلاد الى سماع صوت اتوموبيلي مثلاً واهل سويسرا ابطأهم فانك تكاد تدوس الناس هناك باتوموبيلك قبلما يسمعون صوتهُ ويحيدون من طريقهِ . مثل آخر : لي معامل للفونغراف في برلين وانفرس ولندن . فمعمل انفرس اكثفها المعامل الثلاثة مع تشابه الاحوال المختلفة ومعمل برلين ثانيها ومعمل لندن ثالثها » انتهى

طلاء لا يحول

ظهر في عالم الصناعة منذ اربع سنوات طلاء عجيب لا يحول ولا يتأكسل واسمهُ الاترنيت اي الزفت المطاط او اللستك المعدني . وهو مادة هيدروكربونية تستقطر وتسيل ثم يعلى بها كل ما يراد حفظهُ من الفساد بالرطوبة والحرارة والتأكسد . وقد وجدت مناجم واسعة منهُ في ولاية يوتاه باميركا الشمالية وجرب بان طلي بهِ الخشب والحديد والفولاذ والجلد واللستك والفلين والصفيح فخرجت مصبوغة بصباغ اسود لماع لا يحات ولا ينفذهُ الحامض والقلي والماء والكهربائية والاكسجين والنتروجين . و ٩٩ في المئة منهُ او اكثر كربون صرف

وقد دلت التجارب ايضاً انهُ اذا طليت بهِ الانابيب التي تمد تحت سطح الارض سواء كانت من الخشب او المعدن حفظها من البلى او الصدإ او التحوُّل الكيماوي بفعل الكهربائية . وكذلك حفظ ما يفرز من اعمدة التلغراف والتلفون في الارض فلم تبلغ الرطوبة ولا ما في التربة من المواد الحامضة والقلوية . وحفظ ابدان السفن من فعل الماء العذب في البحيرات والماء المالح في الابحر والاوقيانوسات مما لم تقوَ الاصباغ المعروفة على حفظهِ

وظهر من تحليل هذا الطلاء لمعرفة سرّ قوتهِ العجيبة هذه ان تكريرهُ يخرج منهُ ١٩ و ١١ في المئة من الهدروجين و ٧٨ و ٠ في المئة من الاكسجين و ٧ و ٠ في المئة من النتروجين و ٢٤ و ٠ في المئة من الكبريت فلا يبقى سوى الكربون العنصر فالسر في كون الماء والهواء لا ينفذانهِ هو تراص دقائقهِ . ثم انهُ يخلل اصغر مسام المادة التي تطلى بهِ وهذا يمنع تشققهُ او تقشرهُ . ولما كان قابلاً للمط حتى سموهُ اللستك المعدني كما تقدم القول فلا عجب اذا استخدم في طلاء اللستك النباتي او الكاوتشوك لحفظهِ من فعل النتروجين والاكسجين بهِ

ومن اعظم منافعهِ طلاء الجلد بهِ فيخرج اسود صقيلاً لماعاً لا يتشقق ولا يتقشر ولا

يتغذاه الماء . وجلد مثل هذا لا يقدر نفعهُ في صناعة المركبات والاتومبيلات والجزم وغير ذلك

وهو يباع الآن في الاسواق . ويقال ان في انحسا مناجم منهُ ولكنها دون مناجم أميركا اتساعاً ووسائل استخراجهِ فيها محدودة

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان ولكن النهلة في ما يدرج فهو على احسابهِ فمن برأ منهُ كلي . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والمناظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) ان الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاتب انغلاط غرض عظيماً كان المشرف بانغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوَّلة

صراخ المستغيثين

سيدي الفاضل محرر المقتطف الزاهر

بينا اتصفح مجلتكم الغراء اذ وقع نظري في باب التقريظ والانتقاد من شهر يناير الخاضر على كتاب « صراخ المستغيثين من ابناء الشرقيين » للدكتور زويمر المرسل الاميركي في هذا القطر ولما كنت من الذين اطَّلعوا على هذا الكتاب وان شئت فقل من الذين اسعدهم الحظ بمطالعتهِ وقد رأيت المقتطف ذكر بالاجمال موضوعات الكتاب واقتصر على ذلك مخالفاً سنتهُ التي نهجها من قبل في التقريظ والانتقاد الصريحين ولما كنت من الشرقيين المعنيين بعنوان الكتاب فاحببت ان اوجه نظرهُ الى ما جاء في الصفحة ٣٨ فيرى الكتاب زحرفاً من القول يشفي بسمومهِ من لا عقيدة يظاهر المنصف اذا جرد نفسهُ من كل عاطفة دينية ككاتب هذه السطور

الموضوع سهل يا جناب الدكتور والقلم في اليد والفكر حاضر وكلاهما فرسا بيان ولكن ما اخذهُ المقتطف على نفسهِ من الميثاق عقبة كؤود في سبيل الذين يدافعون عن ابي حنيفة ان لم نقل يشرحون قولهُ وما انطوى عليهِ من سرائر التشريع المؤدية بالمرء الى سبيل النجاح والفلاح

وعهدنا بالمقتطف الاَّ يقرظ الاَّ الكتب القيمة التي من ورائها النفع العميم والاَّ فمثلنا ملآن ماء فليفسح لنا بابًا نخطئ فيهِ آراء الشاتمين وننبذ كل قول لغو حتى لا يدور بخلد البسطاء انا قوم بكم او عزل

يتبين للقارىء لاول وهلة ان كلام الدكتور زويمر ليس الاَّ مجرد وضع تقرير عن حالة ظاهرة كل الظهور بحيث لو تشابهت عليهِ المظاهر لوقف قلمهُ عن التسطير

وان قولهُ في الفصل الاول وجه ١٦ كلام يشف عن انصاف وعلينا ان نقابلهُ على العين والرأس لو لم يقل ما قالهُ في الفصل الرابع وجه ٥٨

الا ان ارض مصر طيبة طاهرة فادخلوها بسلام آمنين منصفين في اقوالكم وانتقادكم : الا ان ارض مصر ليست مرشحًا للمقارنة بين نبيين ولا عذر فانهُ معها ترسل التقادة لا يصل بنتائجهِ الى هذا الحد المحرك للعواطف

نعم ان للدكتور زويمر فضلاً في الانتقاد على بعض العادات يعترف بها الصغير من الشرقيين قبل الكبير منهم فحسبنا ذلك من الكتاب وعهدنا بالمقتطف الصراحة انهُ بها جدير

وبقول الحق اجدر

محمد محمد سعفان

طالب بمدرسة القضاء الشرعي

[المقتطف] قرظنا الكتاب ولم نطالعهُ ولا خطر لنا ان فيهِ شيئًا من هذه المغامز ولو خطر لنا ذلك لطالعناهُ واشرنا اليها بما تستحقهُ من اللوم او لاهملناهُ كما اهملنا كتبًا كثيرة مثلهُ . لانا مع استحساننا قيام اناس من اصحاب كل دين ومذهب لانتقاد ما يرونهُ فيهِ مما يستحق الانتقاد نستحسن جدًّا ان يقوم اناس من غير دينهم او مذهبهم وينتقدون ما يعتقدون انهُ خطأٌ فيهِ لان التنديد بمعتقدات الغير لا يسلمها بل يزيد اصحابها تشبثًا بها ناهيك ان الخارج من المذهب قلما يفهم حقيقة ما يحسبهُ خطأ لانهُ لا يعرف كل ملابساتهِ فيخطئ في حكمهِ اكثر مما يصيب

وبعدُ فاننا لا نستطيع ان ننتقد كل الكتب التي ترد الينا لان انتقاد الكتاب يستلزم مطالعتهُ ونحن لا يسعنا الوقت لمطالعة كل كتاب يرد الينا كل شهر ولا نحن مقيدون بذلك حتى نطالَب بهِ لان هذا التقيد يكاد يكون ضربًا من المحال . ومثل المقتطف في ذلك مثل اكثر المجلات العلمية

ارتقاء الموجودات

حضرة الاستاذ الفاضل محرر المقتطف

ذكرتم في صفحة ٦٠٢ من مقتطف ديسمبر الماضي انهُ « يظهر من النظر في الموجودات انها ترتقي من البسيط الى المركب ومن الجماد الى الحي » ويفهم من العبارة الاخيرة ان الحي يتولد من غير الحي مما يقول بهِ اصحاب مذهب التولد الذاتي الذي دحضتهُ المباحث البيولوجية الحديثة واظهرت خطأهُ كما يتبين من الفقرة التالية التي انقلها عن الدكتور ارثر لوس من كتابهِ « مقدمة في البيولوجيا » المطبوع سنة ١٩١٤ والرجل على ما اعلم ثقة في هذا العلم قال في صفحتي ١٠٥ و١٠٦ ما ترجمتهُ :

« لم يجد الباحثون البيولوجيون في العصور الماضية سائغاً من قبول توزيع (؟) واسع النطاق لما ندعوهُ في الاصطلاح بالتولد الذاتي اذ كان من الاعتقادات السائدة بينهم ان الانبية الالية (organisms) المختلفة كانت ولم تزل تتولد بذواتها من مواد اجنبية وفي مواد اجنبية . وعليهِ كانوا يدَّعون ان الحنكليس (eels) وغيرها من الاسماك تولدت من الطين الذي في قاع البحار وان الديدان التي تظهر في اللحم الفاسد كانت تتولد من عملية التعفن وان الدود الذي يظهر في اجسام بعض الانسان والحيوان متولد من اعضاء وانسجة الذين تظهر فيهم كنتيجة لعمليات وبيلة — غير انهُ باستعمال وسائل دقيقة وثيقة للمشاهدة والامتحان اخذت اخطاء هذه المزاعم تتجلى الواحدة تلو الاخرى فثبت ان للحنكليس اعضاء تناسلية كالفقريات العليا وان صغارهُ تتولد من بويضات كبارهِ . وان الديدان لا تظهر في اللحم ما لم يسل اليهِ الذباب ويضع عليهِ بويضاتهِ . وان الدود المعوي يتولد من الجراثيم التي تدخل في حال الصغر المتناهي » . . . الى ان قال « وهذه النتائج التي انتهوا اليها بعد بحث دقيق متأنٍ استغرق طول السنين تتلخص في قولهم : ان كل بناء آلي يتولد من بويضة وكل خلية تتولد من خلية وكل نواة من نواة »

وهذا القانون هو المعروف بقانون تولد الحياة (Law of Biogenesis)

فنرجو ان تزيدونا المسألة ايضاحاً . اذ نذكر اننا قرأنا لكم في المقتطف مقالات عديدة في دحض هذا المذهب (مذهب التولد الذاتي) لاسيما في ردودكم على مناقشات الطبيب الذكر العلامة الدكتور شبلي شميل وفي الختام تفضلوا بقبول عظيم احترامي

عزيز يوسف

طالب بمدرسة الطب بقصر العيني

[المقتطف] اولاً ان قولنا « من الجماد الى الحي » لا يستلزم تولُّد الحي من الجماد الآن ولا القرينة تقتضي ذلك بل تقتضي شيئاً آخر وهو الاشارة الى ما في الموجودات من البساطة والتركيب كما يظهر لكم بالمراجعة فكأننا قلنا ان الاجسام الجامدة كالحديد والحجر ابسط تركيباً من الاجسام الحية كالنمل والخيل . وليس في ذلك اقل اشارة الى كون الحي متولداً من الجماد او الجماد من الحي ولا كنا نريد ذلك

ثانياً ان التولد الذاتي اي تولد جسم حي من جسم غير حي مباشرة في هذا العصر دعوى لم يقم عليها دليل قاطع حتى الآن واشهر من كان يدعيها الاستاذ باستيان الذي توفي حديثاً وآخر ما نشرناهُ عن تجاربهِ في التولد الذاتي مقالة لهُ في مقتطف مارس سنة ١٩٠٤ يحسن بكم ان تراجعوها وخلاصتها انهُ ولَّد بعض الاحياء البسيطة بعوامل طبيعية وكيماوية كما تولدت المواد الحية في غابر الزمن من مواد غير حيَّة . راجعوا ايضاً ما كتبناهُ في ترجمتهِ حين وفاتهِ في مقتطف يناير سنة ١٩١٦ . اما نحن فلم نجرب التجارب التي جربها حتى يحق لنا ان نقول ان استنتاجهُ صحيح او غير صحيح

ثالثاً اننا لم نرَ الكتاب الذي اشرتم اليهِ ولكن اذا كان على نسق الفقرة التي ترجمتموها عنهُ فهو للمبتدئين لان الكلام الذي نقلتموهُ يعرفهُ الآن الاطفال من اولاد الانكليز وكنا نعلِّمهُ لاطفالنا منذ عشرين سنة . واذا لم تكن فيهِ لفظة « الان » في الفقرة الاخيرة التي نقلتموها عنهُ فمؤلفهُ ليس من العلماء المدققين او الكتاب لم يؤلِّف حديثاً لانهُ اذا كانت كل خلية لا تتولَّد الاَّ من خلية وكل نواة لا تتولَّد الاَّ من نواة صارت الخلية والنواة قديمتين وهذا باطل . ولا بدَّ من زمن تولَّدت فيهِ الخلية الاولى من شيء ليس خلية والنواة الاولى من شيء ليس نواةً . ولكن اذا ادخلنا كلمة « الان » في العبارة استقام المعنى ولو خالف ما يقولهُ بعض العلماء الذين يدَّعون انهم ولَّدوا اجساماً حيَّة من مواد جمادية . ونشير عليكم ان تطالعوا خطبة الاستاذ شيفر بما كان رئيساً لمجمع ترقية العلوم البريطاني سنة ١٩١٢ وهي منشورة في مقتطف اكتوبر ونوفمبر وديسمبر تلك السنة ومقتطف فبراير سنة ١٩١٣ والمناظرة التي جرت في مجمع ترقية العلوم البريطاني على اثرها وما كتبناهُ حديثاً عن تجارب الدكتور باستيان . ويظهر لنا نحن من كل ما اطلعنا عليهِ في هذا الموضوع انهُ لم يستطب لاحد حتى الآن ان يولِّد جسماً حيّاً من جسم غير حي

باب التقريظ والانتقاد

صبح الاعشى

اهدت الينا دار الكتب السلطانية الجزء العاشر من صبح الاعشى الذي عنيت بطبعه وهو يحتوي على ما كان يكتب في القاب الملوك والسلاطين قبل عصر المؤلف وفي عصره وما كان يكتب من ذلك عن الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين ووزراء الخلافة وارباب الوظائف من اصحاب السيوف والاقلام . وما كان يكتب عن مدعي الخلافة ببلاد المغرب والاندلس وعن الفاطميين في الديار المصرية

فما كتب في عهد الفاطميين عند تقليد امارة الحج ما يأتي :

«الحمد لله الذي طهّر بيته من الأرجاس ، وجعله مثابة للناس ، وآمن من حلّه ونزله ، وأوجب اجر من هاجر اليه ووصله

يحمده امير المؤمنين ان خصّه بحيازة البيت الاعظم ، والحجر المكرّم ، والحطيم وزمزم ، وافضى اليه ميراث النبوّة والامامة ، ونُراث الخلافة والزعامة ، وجعله لفرضه موفيًا ، ولحقوقه مؤدّيًا ، ولحدوده حافظًا ، ولشرائعه ملاحظًا ، ويسأله ان يصلّي على من أمره بالتأذين في الناس بالحج الى بيته الحرام لشهادة منافعهم ، وتأدية مناسكهم ، وقضاء تفثهم ، ووفاء نذرهم ، وذكر خالقهم ، والطواف بحرمه ، والشكر على نعمه : سيدنا محمد رسوله صلى الله عليه وعلى وصيه وخليفته ، وباب مدينة علمه وحكمته : عليّ بن ابي طالب سيد الوصيين ، وعلى الأئمة من ذريتهما الطاهرين

وإن اولى ما صرف امير المؤمنين اليه همته ، ووفّر عليه رعايته ، مُثابراً عليه ، وناهضاً لحق الله تعالى فيه ، النظر في امر رفق الحجيج الشاخصة الى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه افضل الصلاة والسلام ، وردّه الى من حلّ محلك من الدين ، وتميز بما تميز به صلحاء المسلمين : من العلم ، ورجاحة الحلم ، ونفاذ البصيرة ، وحسن السريرة ، وعدل السيرة ، ولذلك رأى امير المؤمنين ان قلّدك امر رفق الحجيج المتوجهة من موضع كذا الى الحرمين

المحروسين ، ووكّلك الحرب والاحداث بها : واثقاً باستقلالك وغنائك ، وسداده واصابة آرائك ، فلقلّد ما قلّدك امير المؤمنين بعزم ثاقب ، ورأي صائب ، وهمّة ماضيه ، ونفس سامية ، وشمّر فيه تشميراً يُغرب عن محلك من الاضطلاع ، ويدلّ على استقلالك بحق الاصطناع ، وخُصّ الخراج بأتمّ الأحظّ ، وكن من امرهم على تيقظ ، واعتمد ترفيههم في المسير ، وسوّ في رعايتهم بين الصغير والكبير ، فانهم جميعاً الى الله متوجهون ، والى بيته قاصدون ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وافدون ، قد استقربوا بعيد الشقّة ، واستدمثوا خشين المشقّة ، رغبة في ثواب الله وعفوه ، والنجاة من عقابه وسطوه ، وتقرّباً اليه بارتسام امره وطاعته ، وايجاباً للحرمة بالحلول في عراص بيته وافنيته ، فرافدتهم واجبة ، ومساعدتهم لازبة ، حتى يصلوا الى بغيتهم وقد شملتهم السلامة في الانفس والاموال ، والامنة في الخيل والرجال : متوجهين وقافلين ، بعد ان يشهدوا منافعهم ، ويؤدّوا مناسكهم ، ويحلوا بما حدّ لهم . وردّهم في سيرهم عن الازدحام ، ورتّبهم على الانتظام ، وراعهم في ورود المناهل ، وامنعهم من التحادث عليها والتكاثر فيها ، حتى لا ينفصلوا منها الاّ بعد الارتواء ، ووتوع التساوي والاكتفاء ، وقدم امامهم من يمنعهم من التسرّع ، واخرّ وراءهم من يحفظهم من القطع ، ورتب ساقتهم ، ولا تخلّ بحفظهم من جميع جهاتهم ، وطالع امير المؤمنين في كل منزل تنزله ومحلّ تحلّه بحقيقة امرك ليقف عليها ، ويعدّك بما ينهضك فيها

هذا عهد امير المؤمنين اليك فتدبّره عاملاً عليه ، متبصّراً بما فيه ، عاملاً بما يحسن موقعه لك ، ويزيدك من رضا الله وثوابه ، ان شاء الله تعالى »

والى القارئ مثلاً آخر مما كان يكتب في عهدهم ليقابله بما يكتب الآن فيعلم ما بين الزمانين من المجال الواسع في التقدم والعمران

فمن ذلك سجل بمباشرة الاغنام والمطابخ وهو :

« لما كانت الامانة كافلة بالتنويه لارتيابها ، والكفاية سافرة في التمييز لمن يتعلق باسبابها ، والطهرة حظّة لا يليق التصرّف ولا يحسن الاّ بها ، وكنت ايها القاضي مشهور النفاذ والمعرفة ، خليقاً إذ ذكر المرشحون للمهمات باجمل صفة ، وقد عُلمت نباهتك ، وأستقرت نزاهتك ، وحسُن فيما تتولاه أثرك وطاب فيما تباشره خبرك وحين عُرفت

بك الخدم فيما يستدعي ويبتاع من الاغنام برسم المطابخ السعيدة وما يُنفق ويُغلق منها، متصرفًا في ذلك بين يدَي المخلص السديد صفيّ الملك مأمون الدولة ابي الحسن فرج الحافظي ادام الله تأييدهُ، فشكر سعيك، واحمد قصدك، ورضي اجتهادك، واستوفق اعتمادك — لقدّم فتى مولانا وسيدنا فلان بكتب هذا المنشور لك، مضمّنًا ما يقضي بشدّ أزرك، وشرح صدرك، وتقوية منّتك، وإرهاف عزمك في خدمتك، واعتمادك بما يؤدّي إلى استقامة الامر فيما عُرق بك، ومساعدتك ومعاضدتك ومعونتك في اسبابك، وتبايعك اقصي طلابك، والاميران يعتمدان رعايتك، والشدّ منك وإعانتك، والمحافظة على مصالح امرك والتليينَ لدعوتك، وتوفير حظك من الملاحظة لشئونك. فلتعلم هذا ولتعمل به، ان شاء الله تعالى» انتهى

وقد دام شأن البلاد كلاميًّا هكذا الى ان لم يبقَ فيها من التسعة الملايين الذين كانوا في زمن الرومان الاَّ نحو مليونين

وثمن النسخة من الكتاب ١٢ غرشًا بالفرق و١١ غرشًا بالجملة. وهو على غاية ما يكون من جودة الورق واتقان الطبع

الثمرات. حديث ابليس

هذان كراسان من تأليف حضرة الادب عبد الرحمن افندي شكري قال عن الاول منها «هذه ثمرات اناتين من ثمرات الفكر والعواطف بعضها قديم وبعضها جديد». وقال عن الثاني انه كتاب خلقي جمع بين الفكاهة والجد وهو ابحاث في النفس والحياة. وقد ذيّلهُ بمقتطفات جاء بها من دواوين التي نشرها

رواية الصك المشهور

قصة شعرية تمثيلية من قلم حضرة الدكتور لويس صابونجي تتضمن حكاية ما جرى لهُ في مصر مدة اقامته فيها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ أوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة هذا المقتطف ، وشرطنا على السائل (١) أن يمضي مسائله باسمه وافيه ومحرّر اذا طلب امضاءه واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرّره مستقلة فان لم تدرجهُ بعد شهر آخر تكون قد اهملناه لسبب كان

(١) نفقات انكلترا الحربية

ليوزيلندا . الواحد كريم شفير

قال المستر مكنا وزير المالية ببلاد الانكليز ان نفقات بريطانيا تقدر الآن بستة ملايين جنيه كل يوم . وان في آخر شهر مارس المقبل تكون النفقات البريطانية قد بلغت ٣٤٤٠٠٠٠٠٠ جنيه وقال ان بريطانيا قد اقترضت حلفاءها ٨٠٠٠٠٠٠٠ جنيه . فلماذا تدخل بريطانيا ما تقرضهُ حلفاءها بين نفقاتها الحربيّة مع ان الدول التي اقترضتهُ تذكرهُ بين نفقاتها

ج . ان الحكومة الانكليزية لا تستطيع ان تقوم بالنفقات ما لم يصادق مجلس النوّاب على ذلك سواءٌ انفقتها في او اقرضتها لحلفائها ومراد السؤال ان [illegible] صرف هذا المال الذي وافق مجلس النواب على صرفهِ

(٢) اي المحاربين اشد خسارة

ومنهُ . اذا التمست هذه المآرب ولم تدفع فيها غرامات ولا تغيرت خريطة اوربا

الا تكون نفقاتها اثقل على روسيا وفرنسا منها على المانيا لان المانيا لم تقترض الاموال الاّ من شعبها

ج . اكثر العبرة ليس بالجهة التي اقترضت منها الاموال بل بما تلف من خيرات البلاد زمن الحرب وبما خسرتهُ من رجالها وصادراتها . فالمانيا وحلفاؤها اتلفت من خيرات بلدانهن وخسرن من رجالهن كما تلف من خيرات الحلفاء وكما خسروا من رجالهم تقريباً . ولكن اين صادرات الالمان وحلفائهم فقد قفي عليها وليس كذلك صادرات الحلفاء فان مقدارها قلّ ولكن زادت قيمتها زيادة تكاد تقوم مقام النقص فيها . وقد استفاد الالمان وحلفاؤهم من البلدان التي احتلوها ولكن لا [illegible] ما خرّبوه فيها

(٣) المضارب والمكتريات

شبراخيت . احمد افندي الصراف .

قرأت في الجزء الاول من الاغاني طبعة الساسي صفحة ١٨٠ سطر ٥ فقرة عُمَر فاذا

هو مملوء من المضارب وهي الكبريجات » ثم قرأت في الجزء الثاني صفحة ٥٣ هذا البيت فما روضة من رياض القطا

كأنّ المصابيح حوذانها

فما هو المضرب وما هو الكبريج وما هو الحوذان وهل المصابيح هنا بمعنى القناديل أم كيف

ج انما تقتني طبعة بولاق من كتاب الاغاني فلم نجد ما ذكرتموه فيها الاّ بعد المشقة لاختلاف النسخات وبا حبذا لو جعل السامي صفحات طبعته وسطورها مثل طبعة بولاق لكي يصلح فهرس طبعة بولاق لطبعته. وبعدُ فالقصة التي وردت فيها كلتا مضارب وكبريجات يقال فيها ان عُمَر بن ابي ربيعة الشاعر المشهور لقي نسوةً من جواري بني اميّة قد حجبن فتعرّض لهن وحادثهن فارسلن اليه هدية تذكره بهنّ وهي صندوق مقفل ففتحه فاذا هو مملوء من المضارب وهي الكبريجات وعلى كل واحد منها اسم رجل من يحان اهل مكة وفيها اثنان كبيران عظيمان على احدهما اسم الحارث بن خالد وهو يومئذٍ امير مكة. فعمد الى الحارث عمر بن ابي ربيعة فاصلح من مأدبة ودعه اليها كل واحد ممّن له اسم في تلك المضارب فلما اكلوا واطمأنوا للجلوس قال هات يا غلام تلك الوديعة فجاءه بالصندوق ففتحه ودفع الى الحارث الكبريج الذي عليه اسمه فلما اخذه وكشف عنهُ غطاءهُ فزع وقال ما هذا اخزاك الله فقال لهُ رويداً اصبر حتى أُخرج واحداً واحداً ادفعهُ الى من عليهِ اسمهُ حتى فرّقها فيهم ثم اخرج الذي باسمهِ وقال هذا لي فقالوا لهُ ويحك ما هذا فحدثهم بالخبر فتعجبوا منهُ وما زالوا يمتازحون بذلك دهراً طويلاً ويضحكون منهُ انتهى

والمضرب في العربية العظم الذي فيهِ المخ وما ضُرب بهِ العود وغيرهُ والمعنى الاول اصلح هنا. ولكن الكبريج او الكبريجة فارسيّة على ما يظهر ومعانيها كثيرة ليس فيها معنى عظم المخ ولا معنى مضرب العود

والحوذان زنبق الماء او النيلوفر اي ان ازهار هذه الروضة كالمصابيح

(٤) كتب الآداب العربية

اسيوط. ثابت افندي جرجس بشاي. ماذا جرى في امر المؤلفات التي اتى بها سعادة احمد زكي باشا لتوسيع دائرة النهضة العربية او الآداب في الشرق

ج. تأجل نشرها الى ما بعد الحرب

(٥) هل الذكاء فطري

وعنهُ. هل الذكاء فطري يولد مع الطفل ثم ينشأ بنشوء قواهُ العقلية او هو اكتسابي و يمكن ترقيتهُ بالعلم والتهذيب

ج. ان اصولهُ فطرية وراثية وتنمو رويداً رويداً بنمو القوى العقلية وتوالي الملاحظة والاختبار والعلم والتهذيب

(٦) السعد والنحس

ومنهُ · هل يوجد برهان علمي يكذب ما يعتقدهُ رهط كبير من الناس عن سعد الطالع ونحسهِ

ج · اذا اردتم بالبرهان العلمي ما كان من نوع البرهان الرياضي المبني على الاوليات والبديهيات كالبرهان على ان مجموع الزوايا الثلاث من كل مثلث يعدل زاويتين قائمتين فلا برهان على صحة هذا الاعتقاد ولا على نقضهِ · واذا اردتم بهِ الدليل الاستقرائي كقولنا ان النار تحرق الخشب وان نبات القطن يتولد من بزورهِ لان كل الناس الذين وضعوا الخشب في النار رأوا النار تحرقهُ وكل الفلاحين الذين زرعوا القطن زرعوا بزورهُ فنبت نبات القطن منها فهذا الدليل لم يتوفر للناس حتى الآن توفراً يقنع الجميع · ولكن يقلُّ اعتماد الناس على الطالع بزيادة علمهم واختبارهم فمن الجهة الواحدة لا يرون اقل علاقة بين مطالع النجوم مثلاً وافعال الناس وما ترتبط بهِ من اسباب النجاح والفشل ومن الجهة الاخرى لا يرون ان ما ينسب الى الطالع من السعد والنحس يترتب على وتيرة واحدة كما تجري الافعال الطبيعية على وتيرة واحدة ولذلك سيقل اعتقادهم بالطالع رويداً رويداً حتى يزول تماماً

(٧) العلم والاخلاق

ومنهُ · هل من علاقة بين العلم والاخلاق · ولماذا نجد بعض الاحيان اخلاقاً شريرة في اناس استوفوا العلم في المدارس

ج · ان الاخلاق موروثة كطول القامة وقصرها وبياض الوجه وسمرتهِ والعلم قد يهذب الاخلاق بعض التهذيب كما قد يطيل الانسان قامتهُ باستعمال بعض انواع الرياضة التي تطيل القامة ويبيض بشرتهُ او يسمرها ببعض المواد الكيماوية

(٨) النتائج الاربع

ومنهُ · يقال في الامثال العامة خامس طبيعة فما هي الطبائع الاربع الاخرى

ج · هي اولاً المزاج الخاص بالبدن وثانياً الهيئة التركيبية · وثالثاً القوة المدبرة · ورابعاً حركة النفس · وذلك كلهُ من مصطلحات قدماء الاطباء

(٩) قدم الحياة

ومنهُ · في اي عصر من العصور وجدت هذه الحياة

ج · هي قديمة جداً فقد كانت عندنا الآن من اليرقان وقد اوردنا غير مرة فصلاً من دفاع بعض كبار الخطباء في مجالس [illegible] الزمان

(١٠) ضرب الغواصات للسفن

فريدة · الدكتور نخايل عوض · هل ينبغي ان تظهر الغواصة على سطح الماء حتى يمكنها ان تقذف الباخرة بطربيد وتغرقها او انها تستطيع ان تقذفها بالطربيد وتغرقها

وهي تحت سطح الماء وفي الطاقة الثانية ما لا يدرك بسليم البواخر البخارية اذا كانت معرضة للغرق من غير ان ترى الغواصة

ج . يظهر لكم من مقالة نشرت في مقتطف نوفمبر سنة ١٩٠٩ ان الغواصة لا تستطيع ان ترمي سفينة بطربيدها ما لم تكن عينها فوق الماء اي ما لم تدن هي ايضاً من سطح الماء فيسهل على السفينة المسلحة ان تصيبها حينئذٍ بمدافعها

(٢) علم الفنجان

مصر . عبد الملك الندي شلبي . ارجو التكرم بابداء رأيكم في فنجال القهوة او ورق الكتينة الذي يدعي به بعض المشعوذين افرنجاً كانوا او وطنيين او غيرهم علم ماضي الانسان ومستقبله هل في ذلك شيء من الصحة

ج . لا يحتمل بوجه من الوجوه ان المواد الجامدة كالفنجان والورق تدل من نفسها على شيء ماضي او مستقبل وانما المشعوذ الذي يستخدم هذه المواد يستدل بركاته على امور كثيرة من تاريخ الشخص الذي يخبر عنه واهم من ذلك ان الشخص نفسه يخبر المشعوذ امور كثيرة من نفسه وهو لا يدري و يصيبه نوع من الاستهواء الذاتي فيفهم ما يقوله له المشعوذ حسب ما هو راسخ في ذهنه لا حسب قول المشعوذ فاذا قال له المشعوذ مثلاً ان الذي سرق خاتمك هو خادمك احمد وان يكن خادمك اسمه احمد بل كان اسم خادمه مصطفى فهم ان المشعوذ قال مصطفى لا احمد واذا قال له ان المسروق لك هو سوار وكان المسروق خاتماً فهم انه قال خاتماً . اي انه يفهم ما هو راسخ في نفسه لا ما يصح من المشعوذ . هذا هو الخلل في الاقوال التي تأتي مطابقة للواقع وهي التي تحفظ ويشاع امرها واما الاقوال التي لا تأتي مطابقة للواقع فتنسى ولا تشاع

(٣) الجن والزار

ومنه . ما رأيكم في الناس يقال انهم ملموسون من الجن فيعمل لهم الزار الشائع في مصر وهل يعقل ان جنية تحب رجلاً وتقترن به او تجعله يهجر زوجته

ج . ان الزار وكل ما يتعلق به من اعمال التدجيل التي تستهوي ضعاف الارادة والمائلين الى تصديق الاوهام . والغالب ان ضررها كثير . والشاب الذي ذكرتموه في سؤالكم وقلتم ان جنية احبته وجعلته يهجر زوجته اذا صحت صحته وزال وهمه زال ما به من الضعف

(٤) حركة التورانية والاسلام

الاسكندرية ابرهيم الندي راشد . يقول في مقتطف نوفمبر الماضي في مقالة عن الحركة التورانية ان المراد منها الابتعاد عن الاسلام ثم قيل ان غرض اصحاب هذه

الفكرة جعل التركي العثماني تركيًّا اولاً وعثمانيًّا ثانيًا . فكيف يمكن التوفيق بين هذين القولين المتناقضين

ج . لا نرى فيهما تناقضاً فان التركي مسلم على كل حال والدين فوق كل شيء عندهُ فهو الاول في اعتباره واما الحركة التورانية فترمي الى جعله في المنزلة الثانية وجعل الجنسية التورانية في المنزلة الاول وذلك بمثابة الابتعاد عن الاسلام

(١٤) سبب الصلع

ومنهُ هل من سبب يوجب الصلع

ج . يظهر من البحث في تاريخ الانسان الطبيعي ان جسمهُ كلهُ كان مغطًّى بشعر طويل ولا يزال الشعر طويلاً في اجسام بعض قبائل الانو . والشعر في اجسام بعض الشعوب اكثر منهُ في غيرهم وفي بعض الناس من الشعب الواحد اكثر منهُ في غيرهم . ويكون بدن الجنين مغطًّى بشعر طويل قبل ولادته . وذلك كلهُ من الادلة على ان بدن الانسان كان مغطًّى كلهُ بشعر طويل في اول عهده وقد زال هذا الشعر الآن من اكثر البدن ومن وجوه النساء ايضاً ولا يبعد ان يزول من الرأس بعد عصور متطاولة لاسباب غير معلومة تمامًا . واكثر ما يوجب الصلع الآن الوراثة وانهماك الجسم في الصبا بالسهر الطويل والافراط في استعمال القوة العصبية

(١٥) قسمة الليل والنهار

ومنهُ . من اول من قسم الليل والنهار الى ٢٤ ساعة وما سبب ذلك

ج . ان اسهل طرق القسمة هي القسمة الى انصاف واثلاث وارباع فقسم القدماء كل شيء تقريبًا الى اثني عشر قسمًا او اربعة وعشرين قسمًا فقسموا فرطن الى ١٢ اولية والقدم الى ١٢ عقدة والنهار الى ٢٤ قيراطًا والقيراط الى ٢٤ سهمًا لان كلاً من هذين العددين يسهل قسمتهُ على اثنين وثلاثة واربعة اي يؤخذ نصفهُ وثالثهُ وربعهُ بسهولة . ولذلك شاع عند القدماء من قديم الزمان قسمة النهار والليل الى ٢٤ قسمًا متساوية الاَّ ان اليونان كانوا في اول عهدهم يقسمون النهار الى اثني عشر قسمًا طويلاً كان كما في الصيف او قصيرًا كما في الشتاء وكذلك الليل فتكون الساعات طويلة او قصيرة حسب طول النهار وقصره او طول الليل وقصره . ولا يعلم تمامًا اي الشعوب جرى على هذه القسمة اولاً

(١٦) القمر والمطر

رسل . لاحظت كثيرًا في فصول الشتاء ان الليالي التي يكون القمر فيها ساطعًا يمتنع سقوط المطر فيها فهل هناك تأثير من اشعة القمر فيمتنع وقوع المطر

ج . كلاَّ ولكن ان كان ما لاحظتموهُ صحيحًا فسببهُ ان اشعة القمر تسطع متى قلَّ

البخار من الهواء . والمطر بخار برد فانعقد ماء. لذلك لا ينتظر وقوع المطر اذا قلّ البخار كثيراً

(١٧) سكن الارض قبل آدم

مفاتيح - محمد افندي حسني . هل كانت الارض مسكونة قبل سكن سيدنا آدم لها

ج - اذا اردتم بسكن الارض وجود الاحياء فيها فالعلوم الطبيعية كالجيولوجيا والبلنتيولوجيا تدل على ان اكثر انواع الحيوان سكنت الارض قبل ظهور الانسان فيها. واذا اردتم بسكن الارض وجود الناس قبل آدم فالعلوم غير الدينية المبنية على البديهيات كالحساب والجبر والهندسة او على الاستقراء والامتحان كالطبيعة والكيمياء والفسيولوجيا والباثولوجيا او على المعاملات كالقوانين الجنائية والمدنية والتجارية او على اخبار الناس والامم كالتاريخ والاركيولوجيا كل هذه العلوم واشباهها لا تعلم شيئاً عن آدم وانما يعرف شيء عنهُ من الكتب الدينية كالتوراة والانجيل والقرآن وابحث في ذلك دينيّ ليس من موضوع المقتطف

(١٨) اختلاف الليل والنهار باختلاف البلدان

ومنهُ - ما هي البلاد التي يختلف فيها الليل عن النهار اختلافاً متفاوتاً عن بلادنا المصرية

ج - كل البلدان التي عرضها ليس مثل عرض القطر المصري يختلف فيها الليل والنهار اكثر مما يختلفان في القطر المصري او اقل منهُ فالبلاد التي عرضها اقل من عرض القطر المصري اي انها اقرب الى خط الاستواء من القطر المصري كالسودان مثلاً الاختلاف فيها بين الليل والنهار اقل منهُ في القطر المصري . والبلاد التي عرضها اكثر من عرض القطر المصري اي هي ابعد منهُ عن خط الاستواء كالمانيا وانكلترا وروسيا الاختلاف فيها بين الليل والنهار اكثر منهُ في القطر المصري

(١٩) نهار ٦ اشهر وليل ٦ اشهر

ومنهُ اصحيح توجد بلاد يستمر فيها الليل ستة اشهر والنهار ستة اشهر وكيف يعيش السكان هناك

ج - نعم في عند قطبي الارض تماماً فعند الدرجة ٦٦ من العرض الشمالي والجنوبي يكون طول النهار الاطول ٢٤ ساعة وعند الدرجة ٦٧ يكون طول النهار الاطول شهراً كاملاً وعند الدرجة ٧٨ يكون طول النهار الاطول اربعة اشهر وعند القطب تماماً تظهر الشمس فوق الافق نصف سنة وتغيب تحت الافق نصف سنة ولا سكان هناك

باب الاخبار العلمية

كاشف للتيفويد

ورد في المجلة الطبية الانكليزية ان الدكتور الكبتن ماريس الانكليزي جرّب كاشفاً جديداً للحمى التيفويد والباراتيفويد في بعض المشتبه في اصابتهم بهما . واساس هذا الكاشف فعل الاتروبين بالقلب . فاذا تناول المرء جرعة من الاتروبين وكان سليماً من المرض او كان مصاباً بغير التيفويد والباراتيفويد زادت نبضات قلبه ٢٠ نبضة او اكثر في الدقيقة . واذا كان مصاباً بالتيفويد او الباراتيفويد زادت النبضات عشراً او اقل . واذا كانت الزيادة بين ١٠ و ٢٠ فالحالة مجهولة غير جلية . اما طريقة تجربة هذا الكاشف فهي كما يأتي : يضجع المصاب على ظهره بعد ساعة من تناوله طعامه على القليل ويبقى هادئاً تمام الهدوء ثم يعدّ نبضهُ مدة عشر دقائق ويؤخذ متوسطهُ . وبعد ذلك يحقن تحت الجلد بسلفات الاتروبين ومقدار الحقنة $\frac{1}{100}$ من القمحة ثم يعدّ النبض بعد مرور ٢٥ دقيقة من احقن دقيقة فدقيقة حتى يشعر بزيادة النبض ان كانت هناك زيادة وحتى يأخذ النبض في التناقص . وربما اقتضى ذلك كلهُ ٢٠ دقيقة

خليج المانش وسلامتهُ

من الاعمال التي تستحق الاعجاب في هذه الحرب دفاع الانكليز عن خليج المانش الفاصل بين بلادهم وفرنسا دفاعاً صيرهُ اشبه بشقة حرام على الالمان اذ قلما سمع عن دنوّ سفنهم الحربية منهُ فضلاً عن اختيالها فيهِ كما تفعل في ترعة كيال . فقد ورد في تقرير للاميرال باكون الانكليزي الموكل بسلامة الخليج ان سفنهُ التي تحفر الخليج رأت في خلال ستة اشهر ٢١ الف سفينة تجارية تمرّ بهِ فلم يؤذِ الالمان منها سوى ٢١ سفينة اي واحدة من كل الف ولم يفقد في خلال هذه المدة احد من الجنود الانكليزية التي نقلت الى فرنسا

طول باريس ووشنطن

شرعوا منذ اكتوبر سنة ١٩١٣ يقيسون طول باريس ووشنطن الجغرافي بواسطة التلغراف اللاسلكي لمعرفة الفرق بين طول المكانين . فوجدوا ان البعد بينهما ٦١٧٥

كيلو متراً او ٥ ساعات و١٠ دقق و٦٧ و٣٥ من الثانية بعبارة جغرافية ويقال انهُ ان كان هناك خطل فهو لا يزيد على واحد في المئة من الثانية . ومعنى ذلك انهُ اذا كان الوقت في باريس ظهراً في يوم ما كانت الساعة في وشنطن نحو ٥ بعد الظهر في ذلك اليوم

موسم القمح الاميركي

يؤخذ مما ورد في الجرائد الانكليزية الموثوق بها ان محصول موسم القمح الاميركي هذه السنة افضى الى قلق كثير في جزر الهند الغربية التي تعتمد في قمحها على ما يردها من اميركا فقط . وعليهِ باشرت حكومة الجزر تهتم بالامر وتتخذ الحيطة اللازمة لهُ فاقترحت جريدة بربادوس الزراعية ان يكثر من زراعة الذرة والكسافا والبطاطا الحلوة لسد ما ينقص من القمح على ان هذه المواد ولاسيما البطاطا صريبة الثمن بالنسبة الى القمح فلا بدَّ من بذل مزيد العناية لمنع تلفها . وذا ظهر ان موسم القمح الاميركي عظيم النقص الى حدٍّ لن لا ينال الجزر المذكورة قسط يذكر منهُ جهزة بفوز من شيلنا الانكليزية للاستعانة بهِ على سد النقص

اجتياز الاتلانتيكي بالطيارة

ينوي ضابط نروجي وآخر اسوجي اجتياز الاوقيانوس الاتلانتيكي بالطيارة من نيوفوندلند شرقي كندا الى ارلندا فلندن من غير انقطاع . وسيشرعان في ذلك في ابريل او مايو القادمين فيقطعان المسافة في ٢٠ ساعة على ما يقدَّر وستكون الطيارة اميركية من ذوات الاسطح الثلاثة طولها من طرف الجناح الواحد الى طرف الآخر ١٣١ قدماً وفيها ٦ موطرات قوة كل منها ١٦٠ حصاناً وتستطيع رفع ٥٥ طناً وتحمل ستة اشخاص وهي مجهزة بمثل قارب بخاري حتى اذا اضطرت ان تنزل في البحر فلوت جناحيها واقلعت السفر فيه . وسيصحب الضابط النروجي قريبتهُ معهُ فاذا بلغ الركب مدينة لندن سالمين نالا جائزة الدايلي ميل الانكليزية وقدرها ١٠ آلاف جنيه وجائزة جريدة الفائن النرنسوية وهي مثلها وجوائز اخرى مالية غيرهما

درجة جمود الزئبق

ظهر من بعض التجارب التي جربت في سيبريا حديثاً ان درجة جمود الزئبق كانت — ٣٨٫٨٥ سنتغراد او — ٣٧٫٩ فرنهيت . [illegible] الحكومة الانكليزية عينت سنة ١٨٦٣ جائزة قدرها ٥٠٠ جنيه لمن يكتشف لها هذه الدرجة فكانت — ٣٨٫٨٥ من وهي تطابق التجربة الاميركية ولا تختلف عن نتيجتها الا بعشرين

لانزيم أوزون
وتكريم مكتشفه

قلنا غير مرة ان الدكتور جبرائيل بحري بك اكتشف دواء للدوسنطاريا سماهُ انزيم اوزون وقد وضع لهُ هذا الاسم من كلمة انزيم اي خميرة واوزون وهو اسم نوع من الاكسجين لانهُ مؤلف من مادة خميرية فيها اكسجين متهيئ للانفلات منها والاتحاد بمكروبات الدوسنطاريا وقتلها

ولقد كان لاكتشاف هذا العلاج شأن كبير لدى الاطباء عندنا فجربهُ بعضهم في الدوسنطاريا وشهدوا انهُ انجع علاج لها في بعض حالاتها . واكرم الدكتور بحري اصدقاؤهُ ومعارفهُ في حفلتين كبيرتين عقدت احداهما في النادي الشرقي وفتح الحفلة صاحب السعادة فريد بابازوغلي باشا بكلمات وجيزة ابان فيها الغرض من عقد هذا الاجتماع وهو تكريم الدكتور بحري من اجل اكتشافهِ العائد بالفائدة والنفع على الانسانية وقال انهُ لا يطيل الكلام في وصف الاكتشاف لان الجرائد وفتهُ حقهُ ولا في ذكر مناقب المحتفل بهِ لان الحاضرين يعرفونهُ و يقدرون مناقبهُ حق قدرها ولكنهُ يرى ان خدمتهُ للانسانية باكتشافهِ المفيد من اجل الامور التي يفتخر بها . والنادي يرى ان الواجب عليهِ في مثل هذه الحال ان يكرم من ينبغ من اعضائهِ ويقوم بعمل مفيد للانسانية

وتلاهُ الدكتور امين بك ابو خاطر فتكلم عن فوائد هذا الاكتشاف وقال انهُ جربهُ في مرضاهُ فنجح نجاحاً باهراً في الاحوال المزمنة والحادة وهو يعدهُ خطوة كبيرة للمشتغلين في المباحث الطبية في هذا القطر

وعقبهما حضرة المحتفل بهِ فذكر فائدة اكتشافهِ وشكر لحضرات اعضاء النادي جميل عنايتهم بهِ واهتمامهم بتكريمهِ الذي هو في الحقيقة تكريم للعلم وتنشيط للناشئة على السير في خدمة الانسانية . وقال انهُ لا ينسى هذه العواطف الكريمة بل تبقى ذكراها منطبعة في فؤادهِ على مرّ الايام

وبعد تناول الشاي نهض الدكتور بحري فوصف اكتشافهُ وصفاً علمياً دقيقاً وفصل طرق استخدامهِ والكيفية التي اهتدى بها اليهِ وخلاصتها انهُ رأى بالامتحان هو ومساعدهُ الدكتور سابرمان ان الخمائر اذا تشبعت بالاكسجين حال تولدهِ واتصلت ببعض المكروبات فالاكسجين يفلت من الخمائر ويتحد بتلك المكروبات ويؤثر فيها كثيراً او قليلاً حتى لتفقد بيضها و يعدل سمها . فخطر لهُ ان هذه الخمائر المتشبعة بهذا الاكسجين قد تميت مكروبات الدوسنطاريا لانهُ وجدها لا تنمو فيهِ وجعل يمتحن الارانب بمقادير متماثلة من سم مكروبات الدوسنطاريا ممزوجاً بالانزيم اوزون

فلم تمت مع ان الارانب التي حقنها بهذه المقادير نفسها من سم هذه المكروبات من غير الانزيم اوزون ماتت . ولا يستثنى من ذلك الا السم المفرز من مكروب شيجا فان بعض الارانب التي حقنت به مع الانزيم اوزون ماتت ايضاً دلالة على ان فعل الانزيم اوزون بهذا السم ضعيف ولذلك تدعو الحال الى حقن المصاب بدوسنطاريا شيجا باكثر من خمس حقن ولاسيما اذا ازمن المرض لان كمية من السم تكون قد اجتمعت في بدنه

هذا وقد ظهر لنا حتى الآن ان الذين عولجوا بالانزيم اوزون سواء كانوا بالغين ومرضهم الدوسنطاريا او اطفالاً مصابين باصابات في الامعاء الغلاظ شفي منهم ٩٧ الى ٩٨ في المئة

وتلا ذلك احدنا الدكتور فارس نمر فذكر فوائد الاكتشاف وقال انا نباهي بين يجب من رجالنا ويخدم الانسانية بمثل هذا الاكتشاف النافع واثنى على المكتشف ثناء طيباً

انتهاء الحرب الحاضرة

مثل بعض مشاهير الانكليز عن رأيهم في الوقت الذي تنتهي الحرب الحاضرة فيه وهذه خلاصة اجوبتهم :

مكدونالد رمزهام . الحرب تنتهي سنة ١٩١٧ بشرط ان تضاعف امبراطوريتنا وحلفاؤها عزيمتهم بلا كلل ولا ملل

اسرائيل زنجويل الروائي . يعقد الصلح قبل عيد الميلاد لان العالم لم يضع صوابه حتى الآن

جوينسون هكس من اعضاء البرلمان . ارى ان الحرب لا تنقضي هذه السنة وان النصر لا يتاح لنا الا بقتل ما استطعنا من الجرمان . فاذا كسرنا الجيش الالماني في فرنسا وارجعناه الى حدود بلاده عقدنا الصلح حينئذٍ على الشروط التي نرضيها

الكولونل ارشر شي . تنقضي الحرب هذه السنة لان جهد المتحاربين يبلغ معظمه فيها فان حالة العدو الاقتصادية متكرهة على عقد الصلح بالشروط التي يشترطها الحلفاء

هربي هوب من اعضاء البرلمان . ان الحالة الحربية الحاضرة لا تحملني على الاعتقاد بقرب انتهاء الحرب

الكولونل جسل من اعضاء البرلمان رجاؤنا بالنجاح يكون عظيماً اذا لبت الامة دعوة رئيس الوزارة وقام كل منا بما يجب عليه

الكولونل والترفاير من اعضاء البرلمان . اعتقد ان الصلح سيبرم قبل انقضاء السنة الجارية لان المانيا كسرت داخلياً

فردريك هريسن الفيلسوف الاجتماعي ان القتال ينتهي هذه السنة باعياء العدو من كل جهة ولكن الصلح لا يعقد فيها بل لا بد

قبل ذلك من تحق بروسيا حتى لا تقوم لها قائمة الى الابد

سدني ڤو الكاتب المعروف · ارى ان الحرب تبقى مستمرة الى سنة ١٩١٨

فردريك وايل الصحافي · لا اعتقد ان الحرب تنتهي هذه السنة على ما يروم رئيس وزارتنا وحلفاؤنا · فغير ما نفعل ان نزيد تأهبا نحن وحلفاؤنا فاذا فعلنا فالصلح قريب

لورد ليموث · تنتهي الحرب هذه السنة اذا بذلنا كل جهدنا بلا ابطاء والا فلا

فيليب سنودن العضو في البرلمان · يعتقد الصلح هذه السنة على اثر المفاوضات بين الفريقين المتحاربين

جوزف بلس العضو في البرلمان · تنقضي الحرب هذه السنة لان سوء الحالة الاقتصادية في المانيا والنمسا ستكرههما على قبول شروط تكون في مصلحتنا

السر رتشرد كوبر العضو في البرلمان · يعتقد الصلح هذه السنة لسوء الحالة الاقتصادية في البلاد الجرمانية

السر جون ريز العضو في البرلمان · يعتقد الصلح هذه السنة لان الامم المختلفة لا تستطيع مواصلة الحرب كما تستطيعها الجيوش

الاقتصاد من ضوء النهار

هذه عبارة حديثة الوضع في اللغات الاوربية حتى اصدر بعض بلدان اوربا قوانين بها · ومرادهم منها الانتفاع بضوء النهار في الاعمال حتى لا يضيع شيء منهُ سدًى ولا سيما في هذا الزمان الذي ازدحمت فيهِ الاعمال وفات الايدي العاملة بسبب الحرب · ففي النمسا مثلاً قدموا الساعات كلها في جميع الامبراطورية ساعة واحدة ابتداءً من نصف ليل ٣٠ ابريل الماضي ثم عادوا فاخروها ساعة نصف ليل ٣٠ سبتمبر الذي يليهِ اي بعد خمسة اشهر من تقديمها · ويقال ان هذا التقديم والتأخير افاد الناس كثيراً في الصحة العمومية والاقتصاد · اما الصحة فلِ اتضاهُ تقديم الساعة في فصل الربيع والصيف من القيام الباكر وهذا من محسنات الصحة كما في المثل الانكليزي واما الاقتصاد فقد ظهر جليًّا في مسألة تنوير المنازل ليلاً · ففي خلال المدة المذكورة اقتصد اهل لندنا في منازلهم اربعة ملايين ونصف مليون متر مكعب من غاز النور ثمنها نحو ٣٠ الف جنيه · واقتصدت المدينة في شوارعها العمومية ٤٠٠ الف متر مكعب ثمنها ٣٥٠٠ جنيه

عدد الطيور الاميركية

من اغرب ما يروى عن اطوار الاميركيين انهم لم يحصوا حتى الآن انفسهم احصاء دقيقًا كما ذكرنا في الجزء الماضي ومع ذلك فهم يحصون عدد الطيور التي تطير في جوّهم

الواسع مرتين كل سنة . والاحصاء الثاني من احصاءي سنة ١٩٠٥ يقي على ٣١٥ تقريراً وردت على وزارة الزراعة الاميركية من جميع ولايات اميركا وايالاتها ما عدا ولايتي يوتاه ونيفادا . وقد جاء فيه ان متوسط الطيور التي في الميل المربع من ولايات اميركا الشمالية الشرقية هو نحو ٨٠٠ زوج . ومن اطول التقارير تقرير ورد من جامعة كورنل . فان لها ارضاً مساحتها ٢٥٦ فداناً قسمت ستة اقسام واحصي عدد الطيور في كل منها على حدة بادارة رجل معين . وقد وجد ان اكثر الولايات المذكورة ازدحاماً بسكانه من الطير بقعة مساحتها ٥ افدنة وعدد سكانها ١٣٥ زوجاً من الطير . ووجد ايضاً ان اوفرها في تعدد انواع الطير بقعة مساحتها ٤٤ فداناً وعدد انواعها ٦٢ نوعاً

ومما جاء في كتاب الاحصاء الذي اصدرته وزارة الزراعة قولها « ولما شاع عزم الوزارة على احصاء الطيور قابله كثيرون بالهزء والسخرية وقالوا باستحالته وما ذلك الا لجهلهم الطرق التي قررت الوزارة الجري عليها وغايتها من الاحصاء »

هندسة اقليدس

في مكتبة كنيسة وستر بانكلترا نسخة خطية للكتاب الاول من هندسة اقليدس باللغة اللاتينية . كتبت في القرن الثالث عشر للميلاد بعد ان ترجمت عن نسخة عربية قبلها . وهي تشتمل على الحدود والاوليات التي صدّر بها الكتاب الاول من اقليدس وعلى شرح عشرين قضية منه . وهو يختلف عن كتب الهندسة الحديثة في كونه لا يكتفي على رسوم واشكال لبيان القضايا ولا على علامات تشير الى النقط والخطوط . فقد جاء فيه مثلاً عن القضية الاولى التي موضوعها كيفية رسم مثلث متساوي الاضلاع على خط مستقيم مفروض « انتج البركار حسب طول الخط وارسم من طرفيه دائرتين متقاطعتين ومدّ خطين مستقيمين من نقطة تقاطع الدائرتين الى طرفي الخط واستخرج البرهان من تحديد الدائرة »

مرض الخنادق

أصيب كثير من الجنود التي تحارب في خنادق الميدان الغربي في شتاء ١٩١٥ — ١٩١٦ بتهرؤ اقدامهم حتى اضطر الامر الى بتر ارجل عدد عظيم منهم عدا الذين ماتوا من جراء ذلك . وسبب هذا التهرؤ الرطوبة وشمل الضرورة الصحية الناشيء عن اطالة الجلوس وضغط الاحذية والاربطة التي تربط بها الساقان . وعليه اشار الاطباء بحفظ الاقدام دافئة جافة على قدر الامكان وبلبس احذية واسعة . ولكن ظهر من مباحث طبيين فرنسويين ان لهذا

الداء سبباً ثالثاً اعظم من السابقين وهو مكروبات حلمية اشبه بالمكروبات التي تسطو على اللحم والخبز وتولد فيها العفن المعروف . ففي البلاد الشديدة البرد توم الايدي والارجل وتصاب بالاكلان واذا تركت وشانها ظهرت عليها قروح او تشقق الجلد ودمي وهذا ما يصيب جنود الخنادق فاذا تلطخت ارجلهم بالوحل وكان الوحل حاملاً لهذه المكروبات دخلت ارجلهم من شقوقها واتخذت مغارز الاظافر مكاناً تعيث فيه مفسدة وتنمو نمواً سريعاً اذا لاءمتها الحرارة . وقد وصف الطبيبان المشار اليهما لعلاج هذا الداء غسل الارجل جيداً بصابون فيه حامض بوريك وكافور فانهُ يقتل المكروبات في خلال ٣ ايام او ٤ ولكن الالم قد يدوم نحو ٢٠ يوماً . وهذا المكروب يوجد ايضاً في زبل الاصطبلات وقشها

هبات علمية

وهب محسن انكليزي مجهول مبلغ ٢٠ الف جنيه لمجلة المتحف الوطني في بلاد رايلس وسنفقهُ على تتميم بناء المتحف

واوصى محسن اميركي قبل وفاتهِ بمبلغ ٢٠ الف جنيه لمتحف التاريخ الطبيعي تدفع اليهِ عند وفاة شقيقهِ وهو وارثهُ الوحيد

تدبير الزوابع

من افضل الخدم التي تخدم بها مصلحة الارصاد الجوية الهندية بلاد الهند انذارها الناس بالزوابع قبل هبوبها بمدة تكفي للتحوط لها . ففي ٢٠ سبتمبر الماضي ثارت زوبعة شديدة على كلكوتا وكانت المصلحة قد دلت على بنايتها علامة تسميها علامة « الخطر الشديد » قبل هبوب الزوبعة فلم يؤخذ الناس بها على غرة . وفي ٢ دسمبر الماضي هبت زوبعة هائلة على مدراس طير البرق نبأها الينا وكانت المصلحة قد انذرت بها اهل مدراس برفع علامة « الخطر الشديد » على مرصد مدراس في ٢٩ نوفمبر اي قبل الزوبعة باربعة ايام

وصية الاستاذ لول

نعينا في الجزء الماضي الاستاذ لول الاميركي من اشهر علماء الفلك المعاصرين . وقد رأينا في المجلات الاخيرة انهُ ترك ميراثاً يقدر بمليون ريال اوصى بعشر ايرادهِ للانفاق على المرصد الفلكي الذي بناهُ في ولاية اريزونا وعلى درس النظام الشمسي وحركاتهِ بوجه خاص . واوصى ايضاً ان لا يدمج المرصد في مرصد آخر ولا يضم الى معهد من المعاهد العلمية بل يبقى مستقلاً بنفسهِ

تجارة القطر في العام الماضي

كان العام الماضي اكثر الاعوام كلها في قيمة التجارة المصرية من صادر ووارد فقد بلغت قيمة الصادرات سنة ٣٧ ٤٦٢ ٤٥٣ جنيهاً مصرياً اي سبعة وثلاثين مليوناً ونحو نصف مليون فلا يدانيها الاَّ قيمة الصادرات سنة ١٩١٢ اذ بلغت ٣٤ ٥٧٤ ٣٢١ جنيهاً. واكثر الزيادة في قيمة الصادرات نتج من ارتفاع سعر القطن فقد بلغ ثمن الصادر منهُ ٢٩ ٨١٣ ٦٨١ جنيهاً مع ان مقدارهُ لم يكن سوى ٥ ٤١٦ ٩٣٦ قنطاراً واما سنة ١٩١٢ فبلغ مقدار القطن الصادر ٨ ٣٠٦ ٩٤٨ قنطاراً ومع ذلك لم يبلغ ثمنهُ سوى ٢٧ ٥٣٩ ٢٧٧ جنيهاً

وكما زادت قيمة الصادرات زادت قيمة الواردات فقد بلغت ٣٠ ٨٥٤ ٤١٠ جنيهاً مع ان مقاديرها كانت دون المعتاد فقد ورد من القمح الحجري مثلاً ٩ ٦٥٠ ٩ اطنان بلغ ثمنها ٥ ١٣٤ ١٤٢ جنيهاً وكان الوارد من القمح الحجري ٧ ٣٦٣ ١٧٣ طنّاً سنة ٩٠٢ ولم يبلغ ثمنها سوى ٧٠ ٢٢٠ جنيهات . ولولا الاقتصاد في مواد كثيرة من الواردات لوازت قيمتها قيمة الصادرات ومع ذلك لا بدَّ من زيادة الاقتصاد فيما نستورده لانهُ لا ينتظر ان يبقى سعر القطن مرتفعاً الى هذا الحد بعد انتهاء الحرب

وهنا امرٌ آخر يجب ان لا نغفل عنهُ وهو ما حل بالقطن على اثر اصابتهِ بدودة اللوز الرمادية والحمراء فان الموسم الماضي والذي قبلهُ نقصا نقصاً فاحشاً بسبب فعلها الذريع وقلما يحتمل بعد الآن ان نصدر اكثر من ثمانية ملايين قنطار في سنة واحدة كما اصدرنا سنة ١٩٠٢ . والذي يرى حطب القطن في الفيطان وعلى سطوح البيوت وما لا يزال فيهِ من اللوز المضروب لا يتعجب اذا فتكت هذه الآفة بالموسم المقبل كما فتكت بالماضي

تأثير الصوم في الصائم

صام احد العلماء حديثاً هو وامرأتهُ ثلاثة اسابيع ليدرس تأثير الصوم في الناس رجالاً ونساء . ففي الاسبوع الاول جعلا يقللان مقدار طعامهما من العادي الى النزر اليسير . وفي الثاني اقتصرا عن الاكل واقتصرا على شرب ٦٠٠ سنتمتر مكعب من الماء كلَّ يوم . وفي الثالث عكسا ما فعلا في الاسبوع اي شرعا يتناولان كميات قليلة من الطعام ويزيدانها شيئاً فشيئاً الى القدر العادي . وكان تأثير الصيام فيهما تناقص الحيوية والقوة الى حد النفاد تقريباً وابطء حركة القوى البدنية والعقلية وخصوصاً الاولى منها وزيادة مضاء الذهن والدقة في الحكم . اما الذاكرة فضعفت قوتها في الرجل ولويت في امرأته

المروحة الكهربائية

تستعمل المروحة الكهربائية في الصيف لتخفيف حرّ، وهي في الحقيقة لا تخفف الحرّ بل تقلّل الشعور به بتحريكها لدقائق الهواء . فاذا انقضى فصل الصيف انقطع عملها مدة الشتاء فوضعت على حدة حتى يأتي الصيف الذي بعده وهكذا على التوالي . وقد اشارت السيدة اميركان بوجوب استعمالها في الشتاء حيث الآلات المعدة لتدفئة الغرف بحجة انها توزع الحرارة في تلك الغرف على السواء بدل انحصارها في بعض جوانبها دون البعض الآخر

اجتياز جبال الاندس بالبالون

ركب طيارانمن جمهورية الارجنتين بلونًا من مدينة سنتياغو في جمهورية شيلي وطارا فوق جبال الاندس المشهورة وبعد اربع ساعات نزلا في بلدة مندوزا من بلاد الارجنتين على الجانب الآخر من هذه الجبال

آذان كهربائية

يقال ان في مدينة البندقية آلات تسمع حفيف طيارات النمسويين عند قيامها من ترييسته على بعد ٦٠ ميلاً منها فيكون للايطاليين متسع من الوقت للاحتياط لان الطيارات تقطع هذه المسافة بين المدينتين في ثنتي ساعة

المرض القنبلي

سمّى المجمع الطبي الفرنسوي الاضطرابات العقلية او البدنية التي تصيب الذين تنفجر القنابل الكبيرة قربهم من غير ان تميتهم مرض الاوبوزيت (obusite) نسبة الى obus اي قنبلة . واظهر اعراض هذا المرض الطرش . وقد حدث السيدة اميركان حضو المجمع الفرنسوي سمت المرض بالانكليزية شليتس (shelitis) نسبة الى (shell) اي قنبلة

سمك يبني اوكارًا

في البحر نوع من السمك يبني الاوكار كالاطيار . فاذا جاء اوان التزاوج جعلت السمكة الذكر تبني عشًّا من الحشائش والاعشاب البحرية حتى اذا كمل بناؤه اقامت فيه ترصد الانثى لعلها تمر وتعوج . وسمك بركة فارون يصنع لبيضه ادحيًا كادحي النعام ويبيض فيه

نفقة الطيران

انفقت الحكومة الانكليزية في السنة الماضية نحو ٥ مليون جنيه على الطيران

فهرس الجزء الثاني من المجلد الخمسين

صفحة

١٠٥ الدكتور شبلي شميل (مصوّرة)
١١٣ القدَرية والخيرية · لمحمد افندي حسين هيكل المحامي دكتور في الحقوق
١٢١ نصيب فرنسا من هذه الحرب
١٢٦ الشيخوخة وامانيّ حيوية · للدكتور امين ابو خاطر
١٣٣ اليانصيب او الترتيبة · لنجيب شاهين
١٣٩ داء المفاصل وسببهُ
١٤١ حيل المتمارضين
١٤٤ اشتداد الضيق بالمانيا
١٥٠ مصر منذ اربعمائة سنة · لديمتري افندي نقولا
١٥٨ المفرقعات وفعلها
١٦١ الاماني والاحلام
١٦٤ الفهد في الصيد (مصوّرة)
١٦٧ الدردنوط البرّي (مصوّرة)

---

١٦٩ باب الزراعة * استغلال الارض · بعض المبدات · قيمة البقر الحلوب · الذرة · الجزر والقرنبة
١٧٨ باب تدبير المنزل * المرأة في مقام الرجل (مصوّرة) · النساء والخطراف اللاسلكي · الطالبات في الجامعات الالمانية · ميزة المساكن · مسامير الاحذية · تنظيف الآنية الفضية · ازالة الصباغ المقدم
١٨٣ باب الصناعة * الصناعة الاميركية · طلاء لا يحول
١٨٦ باب المراسلة والمناظرة * صلح المتنبي · ارقاء الموجردات
١٩٠ باب التقريظ والانتقاد * صبح الاعشى · الفرات · حديث ابليس · رواية الملك المقهور
١٩٣ باب المسائل * وهي ٦ مسائل
١٩٤ باب الاجوبة الفضية * وهي ٢٣ رقمة

لورد كرومر

مقتطف مارس ١٩١٧

امام الصفحة ٢٠٩